الكتاب الذهبي

المضحكون

محمود السعدني

الكتاب الذهبي

مايو ١٩٧١

المضحكون

محمود السعدني

غلاف الفنان جمال كامل

رسوم داخلية شريف ـ ناجى ـ حجازى

الاخراج الفنى مودى حكيم

خطوط مجدى عبد الحميد

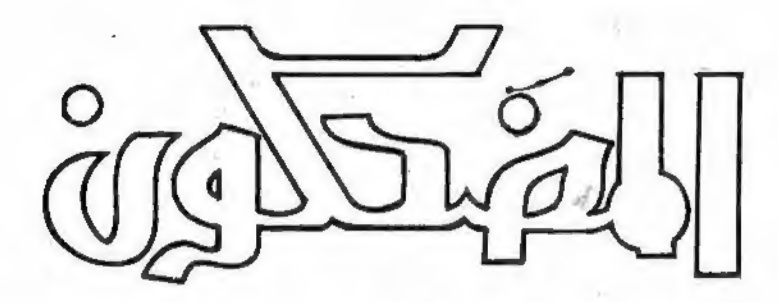

زمان كان مدرس الحساب يعتقد أننى حمار وكنت اعتقد اننى عبقرى · وبعد فترة طويلة من الزمان اكتشفت إن المدرس كان على خطأ ؛ واكتشفت ايضا أن العبد لله لم يكن على صواب ، فلا أنا عبقرى ولا أنا حمار ، بصراحة ، أنا مزيج من الاثنين ، العبقرى والحمار ·· أنا حمقرى !

ولانى حمقرى فقد كنت أظن ان كل رجل ضاحك رجل هلاس ·· ولأننى حمقرى كنت أرفع شعارا حمقريا « أنا أضحك اذن أنا سعيد » وبعد فترة طويلة من الزمان اكتشفت أن العكس هو الصحيح ، واكتشفت أن كل رجل ضاحك رجل بائس ، وأنه مقابل كل ضحكة تفرقع على لسانه تفرقع مأساة داخل أحشائه ، وأنه مقابل كل ابتسامة ترتسم

على شـــفتيه تنحـــدر دمعة داخل قلبه ‥ والحـــزن رفيق للانســـان ولكن هناك حزن هلفوت ، وهناك أيضـــا حزن مقدس ‥ وصـاحب الحزن الهلفوت يحمله على رأســه ويدور به عـلى الناس ‥ التقطيبه عـلى الجبين والرعشـه فى أرنبـة الأنف ، والدمعة على الخدين ‥ ياالالى ! وهو يدور بها عـــلى خلق الله يبيع لهم أحزانه ، وهو بعـد فترة يكون قـد باع رصيده من الاحزان وتخفف ، ويفارقه الحزن وتبقى آثاره عـلى الوجه ، اكسسوار يرتديـه الحزين الهلفوت ويسـترزق ‥ ولكن الحزن المقدس حزن عظيم ، والحزن العظيم نتيجةهموم عظيمة ، والهمومالعظيمة لاتسكن الا نفوسا أعظم ‥ والنفوس الاعظم تغلق نفسها على همها وتمضى ‥ وهى تظل الى آخر لحظة فى الحياة تأكل الحزنوالحزن يأكل منها ، ويمضىالانسان صاحب الحزن العظيم ـ ككل شىء فى الحياة ـ يأكل ويؤكل، ولكن مثله لايذاع له سر ، وقد يمضى بسره الى قبره ! ولذلك يقال ما أسهل أن تبكى وما اصعب أن تضـحك ‥ لأن البكاء يمكن أن يصبح مهنة ، وما أكثر الهلافيت الذين يصـــعدون الاتوبيســـات طالبين من كل راجل جدع أن يضـــع يده فى جيبه كرامة لسيدنا الحسين وسيدنا ابراهيم الدسـوقى ‥ وأنا مسافر طنطا يا اخوان ، والفاتحة أمانة لكم عند شـيخ العرب ، ثم ‥‥ ثم يبكى !! ولذلك سـتجد كل يوم عشرة

آلاف رجل يبكون فى أتوبيسات مصر والصعيد والاسكندرية ، ولكنك ستنتظر كثيرا لكى تعثر على رجل يصلح بلياتشـو فى الســـيرك القومى ‥ وفى كل قرية ســتجد مائة معـددة تجيد اللطم على الخدود بشقاوة ، ولكنك لن تجد فى القرية الا مضحكا واحدا ، هــذا اذا عثرت عليه ‥ ولكن هنـاك أيضـا ضـــحك مقدس ، وهناك ضـحك هلفوت ‥ الضاحك اذا كان حزينا فى الاعماق صار عبقريا ، واذا كان مجدبا من الداخل أصبح بلياتشو يستحق اللطم على قفاه ! ونحن أكثر الشعوب حظا فى انتاج المضحكين ، مصر العظيمة التى علمت الدنيا الحضارة وعلمت الناس الكتابة والقراءة ، وعلمت المؤمنين كيف يعبدون الله ‥ مصر العظيمة كـان لهـــا فى كل جيـل عشرات من المضحكين ، ولقد استطاع بعضهم أن يخلد ولمع بعضـــهم حينا ، ثم فرقع كبالونة منتفخة بالهواء ‥ العبقرى هو الـــذى استمر ، والحمقرى هو الذى لمع فترة ثم انطفأ ، والحمار هـو الذى مـات عند الميلاد ‥ لقد ولدت مصر فى هـذا الجيل عشرات من المضحكين ، بعضهم أصـيل وبعضهم فالصـــو ، بعضهم مثل الدهب البندقى ، وبعضهم مثل الدهب القشرة ‥ عشرات من أول فؤاد المهندس الى أمين الهنيدى الى محمدرضا الى محمد عوض الى عبد المنعم ابراهيم الى عبد الســلام محمد الى حسن مصطفى الى أنور محمد الى المضحك القديم سـعيد أبو بكر الى المضحك العجوز اسماعيل يس الى جيل الشـبان المضحكين عادل امام وسعيد صـالح وصـلاح الســعدنى ‥ وهؤلاء جميعا مثل الزرع فى حديقة فواكه سنجد لكل منهم طعما خاصا ومذاقا محددا ونكهة مختلفـة ‥ بعضـــهم مثل المانجة وبعضهم بطيخ شليان ، وبعضهم بطيخ أقرع وبعضهم قصب خد الجميل وبعضهم قصب مسوس ‥ وسنجد مضحكا منهم له وجهان ‥ فؤاد المهنـــدس بطل عـلى خشبـة المسرح وفى الســينما مجرد ممثل ‥ محمد عوض بطل فى روايـة و ‥ لامؤاخذة فى رواية أخرى !

محمد رضا اذا قال كلاما حلق فى السما واذا اعتمد على الحركة وقع على رصيف الشارع . عبد السلام محمد يلمع اذا وجد الدور ويموت اذا بقى فى المسرح القومى .. وعبد المنعم ابراهيم كان يجب ان يكون بطلا فى السينما ولكن عقلية بتوع السينما حبسته فى دائرة الهيافة الامامية الحليمية الشيخية .. وهو فى المسرح لم يجد الرواية بعد ، وان وجدها ضاع بسبب عيب فى داخله .. واسماعيل يس لا يزال آخف دم فى مصر ولكنه ضاع بسبب ايمانه الشديد بالكلام الفارغ ، انه هو الآخر حمقرى . عبقرى فى التمثيل ،و .. فى احترام عقليته وفى احترام عقلية المتفرجين !!

وامين الهنيدى يسير فى نفس الطريق .. فالمسرح سامر .. والمتفرجون أسرى نكته وقفشاته . والنص موضة قديمة لا تتفق مع عصر المسحوق رابسو .

وأنور محمد معالمه تكاد تختفى ، إنه كالدبور لا يكاد يتوقف ، وهو أحيانا يحط والكنه كالدبور أيضا يحط مرة على عود ريحان ، ويحط مرة على صندوق زبالة ..

وحسن مصطفى مضحك وعظيم ولكنه اختار لنفسه أن

يكون مضحك عمومى .. انه مثل الكاتب الموهوب الذى اختار مكانا على باب المحكمة وتحول الى كاتب عمومى .. ولكن هذه مجرد مقدمة عن السادة المضحكين .. وأعتقد اننا فى حاجة الى نظرة شاملة على كل مضحك وسوف نصوب نظراتنا على المضحكين فى الفصول التالية . وسنبدأ بمضحك لم نذكره فى هذه المقدمة لأن مقامه أطول من برج الجزيرة ، واثره أعمق من بحيرة قارون .. انه المضحك عبد المنعم مدبولى .. وارجو أن تكون نظرتى صائبة وسليمة ، وعلى العموم سأحاول .. فان صابت فأنا عبقرى ، وان خابت فأنا لم أخسر شيئا ، لأننى مضحك مثلهم .. ولأننى حمقرى ... بلا جدال .

محمود السعدنى

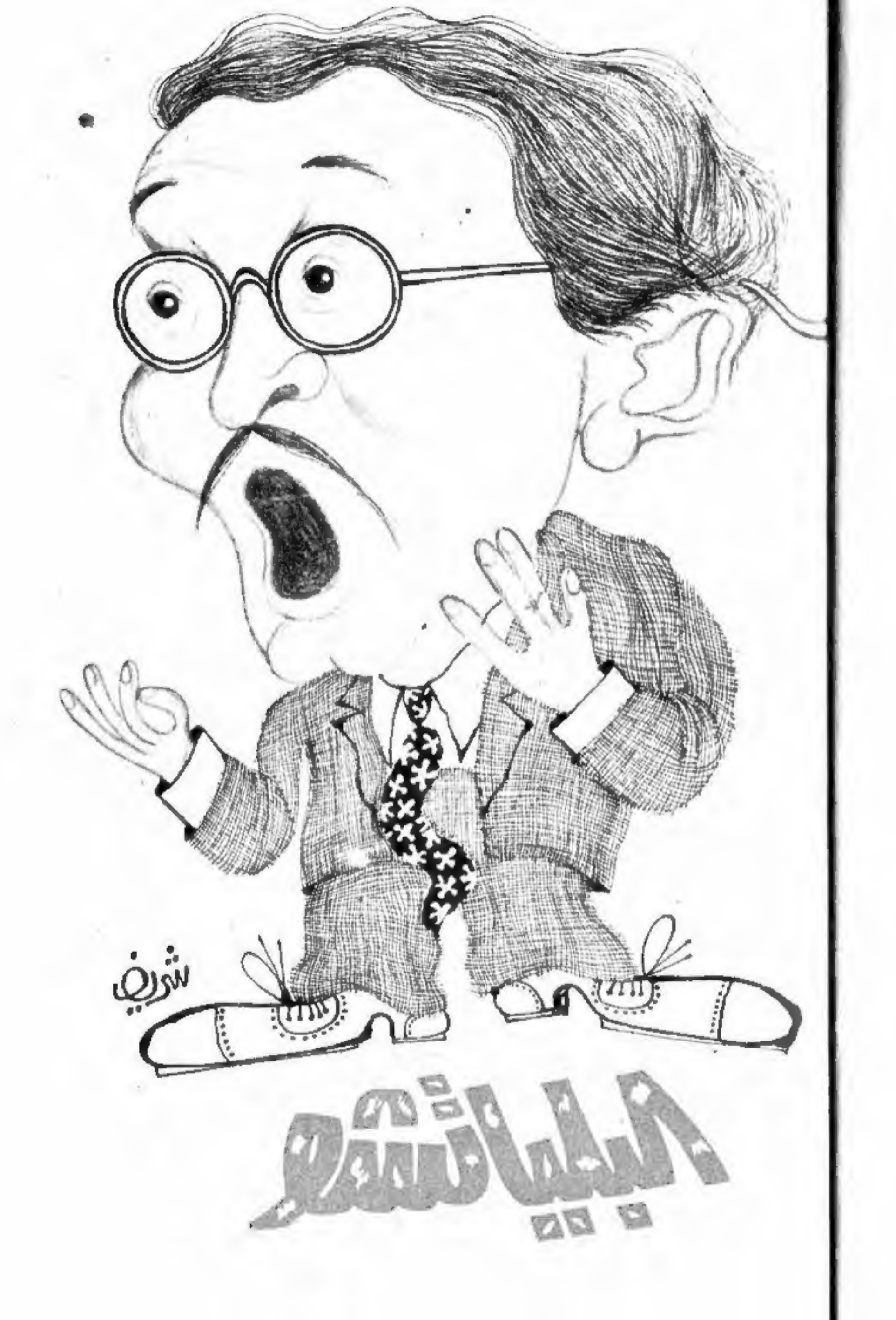
شريف
البياشم

اذا كانت الحياة تبدأ بعد الستين ، فهى عند عبد المنعم مدبولى بدأت قبل العشرين ، وهو كان طالبا فى مدرسة الفنون التطبيقية ولكنه كان يحس بانه خلق فعلا ليقف على خشبة المسرح ، ولذلك ذهب ذات صباح الى مسرح جورج أبيض ، ونظر اليه العملاق العظيم واختاره فى دور صغير فى رواية جديدة وبعد ان ادى مدبولى الدور ، قال جورج أبيض للولد الصغير الذى كان يرتجف وهو واقف أمام غول المسرح المصرى : انت هيبقى لك مستقبل كبير .. انت خليفتى فى الدرام !

ولكن بعد فترة هجر مدبولى العمل عند جورج أبيض والتحق بفرقة فاطمة رشدى . وفى أول ليلة قام بدور هايف ، ولد يدخل المسرح ويعلن لصاحبة البيت فى حياء . فيه واحد بره عاوزك ياست . كان هذا هو كل دور مدبولى فى الرواية ولكن فى الليلة التالية قام مدبولى بدور البطولة ، واصبح بعد ذلك بطل الفرقة وبأجر ريال كل يوم ، وقبض عبد المنعم مدبولى أول يوم ، ثم توقف القبض بعد ذلك ، والى الآن ! حدث هذا عام ١٩٤٠ ومصر على مرمى مدافع الالمان ، والانجليز سكارى فى الشوارع ، يتفاهمون مع الناس أحيانا باللسان ، وغالبا بالمطاوى ودائما بالسلاح ، وعندما انتهت الحرب كان مدبولى قد تخرج فى كلية الفنون قسم النحت ، ولكنه لايشعر بانه نحات بالفعل . انه ممثل ولا شىء آخر . ولكن النحت أكل عيش ووظيفة .

ومدبولى جبان ، وسيظل يخاف على أكل عيشه الى آخر الزمان . هو لا يؤمن بأن الفن يمكن أن يحمى الانسان ، وهو لايؤمن أيضا بأن الموهبة سلاح . انه فلاح اذا فاته الميرى فسيذهب يتمرغ فى ترابه . وهو لا يؤمن الا بالشهادات والدرجات ولذلك تقدم بطلب يرجو من وزير المعارف أن يلحقه باية وظيفة خالية بكلية الفنون . وفى الوقت ذاته قدم طلبا للالتحاق كطالب فى معهد التمثيل ! وجاء الرد على الطلبين بالموافقة ، واصبح الشاب الصغير مدرسا وطالبا فى الوقت نفسه !

• وكان المسرح الحر هو أول تجربة بعد أن أصبح الولد الصغيرفنانا بشهادة ، واشتغل عبدالمنعم مدبولى مخرجا وممثلا ، ولكن • وهنا العجب سيختار من الروايات أخفها وزنا وأهيفها مضمونا • وسنجد عشر روايات اخراج مدبولى ورواية واحدة افلتت من بين أصابعه ، هى رواية نعمان عاشور « الناس اللى تحت » ستصبح هذه الرواية الهايفة هى محور حياة مدبولى الفنية ، ولذلك سيكرر نفسه كثيرا ، ولكنه سيلقى النجاح باستمرار ! ولكنه نجاح التاجر وليس نجاح الفنان • وفى سوق المضحكين لن تجد أشطر ولا أمهر من مدبولى التاجر وهذا هو سر تأخر مدبولى ووقوفه دائما فى الخلف •• رغم انه أستاذ الاساتيذ وأعظم المضحكين ، وسر عظمة مدبولى المضحك انه ألمضحك المصرى الوحيد بين كل المضحكين ، انه عصير من الضحك فى حوارى القاهرة ، وعلى مصاطب الفلاحين! وهو مزيج من البلياتشو وأراجوز السامر ومهرج السيرك •• والراجل الجدع الذى يأكل النار ويفك نفسه من الاغلال ويدور على المتفرجين طالبا من كل راجل جدع ان يضرب يده فى جيبه عشان خاطر الأولياء والمرسلين ! انه شابلن مصرى ولكن بلا

قضية وبلا راية ، وهو لا ينطلق من هدف ولا يتجه الى هدف وليس له من هدف الا أن يضحك الناس ويضحك عليهم ، وقد استطاع أن يضحك عليهم فعلا ، ولكنه عند الحساب الختامى سيكتشف مدبولى انه الوحيد الذى انضحك عليه ، وسيكتشف أن النجاح الذى حققه لم يحققه مدبولى الفنان ، ولكن مدبولى التاجر هو الذى حقق النجاح •

وعبد المنعم مدبولى كان يمكن ان يشتهر حتى ولو لم يظهر على المسرح • ولو ظهر قبل الآن بمائة عام وسرح فى الاسواق ودهن وجهه بالدقيق وأكل النار وتشقلب على الكراسى فى الموالد والافراح ، لصار شهيرا جهيرا وذائع الصيت والمقام • انه عبدالله النديم آخر ولكن بلا اتجاه • انه النديم الصايع • ولقد تمكن النديم الصايع من أن يتحول الى النديم الثائر • ولكن عبد المنعم مدبولى وقف عند مرحلة الصايع ولم يتحرك خطوة واحدة الى الأمام ! انها فركة كعب بين مدبولى والنديم • كان مع النديم منجم دهب فاشترى به الخلود ، وكان مع مدبولى منجم دهب فآثر أن يشترى به سيارة من الكويت !

ولكن ماهو سر مدبولى ؟ ولماذا وقف محلك سر كأنه عسكرى يقضى فترة عقوبة فى طابور ؟ السبب أن مدبولى جبان ، وهو لايريد أن يفرض شيئا على الناس ، ولكنه آثر أن يلبى للناس رغباتهم • ولأنه بلياتشو يريد أن يضحك الناس ويستجدى قروشهم • ولذلك أيضا سيبحث عن النص السهل ليضحك الناس ، فاذا لم يجد نصا على الاطلاق استطاع أن يضحك الناس على حد سواء •

انها مأساة على الكسار تتكرر من جديد . لقد كان الكسار هو أعظم مضحك فى زمانه ولكنه عندما مات كان قد انطفأ نوره وذبلت شمعته قبل الاوان . ذلك لان الكسار كان فى رأسه ضحك ولكن لم يكن فى رأسه شىء آخر .

ولقد كانت موهبة الكسار أضخم الف مرة من موهبة الريحانى ولكن الريحانى بموهبته الضئيلة استطاع ان يأكل الكسار بموهبته التى ليس لها نظير .. كان الريحانى مثل رجل يحمل مسدسا فى معركة مع قبيلة زنوج تحمل الشوم وانتصر المسدس فى النهاية على الشوم .. عاش الريحانى حتى مات ، وعاش أكثر بعد الممات ، بينما مات الكسار وهو على قيد الحياة .. ومن نظرة فاحصة على عبد المنعم مدبولى نكتشف انه يدور فى نفس الدائرة التى دار فيها على الكسار .. كانهما حيوانان من فصيلة واحدة مكتوب عليهما أن يصنعا نفس الشىء دون اتفاق . لقد عاش الكسار طول عمره على روايات هايفة أحيانا من تأليف بعض الأرزقية ، وأحيانا من توليف الكسار نفسه .. وكانت رواياته ، سرقوا الصندوق ، ونجمة الصبح ، و .. ولو .. و .. بعينك ، الى آخر هذه العناوين التى تكشف عن الوكسة والخيبة والهزال العظيم ، انها نفس عناوين عبد المنعم مدبولى ، تناسخ الارواح نظرية تحققت فى أعمال الاثنين .. وسيبدأ مدبولى حياته الفنية بروايات الرضا السامى ، حسبة برما ، خايف أتجوز ، مراتى بنت جن .

وسينتهى الآن .. بروايات طبق سلطة ، وسرى جدا .

وسنجد الريحانى الذى يتمتع بحاسة شم رياح المستقبل يتعاون مع أنبغ رجالات عصره ، بديع خيرى وسيد درويش وبيرم التونسى .. وسنجد الكسار شديد التعاطف مع برعى و .. برعى أيضا ، ولا احد آخر غير هذا البرعى الشهير .. نفس الشىء يتكرر مع عبد المنعم مدبولى .. سيختار من بين كل المؤلفين ، سمير خفاجى وبهجت قمر ، ورشاد حجازى ، وحسين عبد النبى .. مؤلفين من قماش واحد .. أعظم وأهم صفاته انه قماش هايف رخيص !!

وسنجد عبد المنعم مدبولى يكافح بشدة ليبتعد بقدر الامكان عن التيار الآخر .. وسيبذل جهده كله لكى ينجو من براثن نعمان عاشور .. باعتباره رجسا من عمل الشيطان فاجتنبوه يا أولى الالباب .

طيب لماذا عاش عبد المنعم مدبولى حتى الآن ؟ لماذا لم يلق مصير على الكسار ؟ لان عبدالمنعم مدبولى لم يزل في عنفوانه ·· ولانه أيضا صانع ماهر عظيم ·· ولو كان عبد المنعم مدبولى حيا يرزق لحظة دخول السلطان سليم مصر · لأمر بنقله الى القسطنطينية مع مهرة الصناع والعمال الذين خطفهم من القاهرة ليصبحوا زينة ملكه واشعاع النور فى عاصمته ·· انه ترزى عربى عظيم قادر على تفصيل كل الجلاليب ·· ولكنه ويالعجب يختار من القماش أرخصه وأهيفه · ولكن لأن الجلابيه فى النهاية تفصيل ·· فهى تبدو اشيك وأكثر اناقة من الجلابية الصوف المعمولة عند ترزى هايف لايعرف الفرق بين اللباس والفانلة !! هو لانه مكنجى عظيم سيظل لامعا ولكن على السطح ·· وأيضا لفترة قد تكون قصيرة وقد تكون طويلة ·· ولكنه حتما سينطفىء ويخبو يوما ما ! وهو حكم صادر ضد

مدبولى منذ البداية ·· انه شخصية من شخصيات نجيب محفوظ مولودة ومعها قدرها ·· وهو يسير فى الحياة كأنه ترماى يمشى على قضبان ، وهو له محطة بداية ومحطة نهاية ، ولا مفر من قطع الرحلة الا اذا حدث حادث سيىء ، أو تعطلت أسلاك الكهرباء !

ويا ميت خسارة على عبد المنعم مدبولى ، جالوص ضحك ، ولكنه استعمله بلا غاية ، وهو طن بصل بحيرى اخطأ طريقه الى معامل الويسكى فى اسكتلندا ، واكتفى بتخليله فى بلاص مش قديم ·· ويا ميت خسارة لان عبد المنعم مدبولى كان من الممكن أن يتحول الى عبقرى ، وكان من السهل أن يصبح له فى تاريخنا تاريخ ·· ولكنه آثر الانتشار عرضا ، ورفض بشدة أن يحفر فى الارض بعمق ، السبب أنه جبان رغم أنه أعظم مضحك ، و·· خالق كل المضحكين !

ليس من بين المضحكين من هو أذكى من فؤاد المهندس ٠ وذكاؤه هو الذى جعله يحط كالصقر على طبق المهلبية الشهير بشويكار طوب صقال وهو بهذا الزواج الذكى سيصبح المضحك الرسمى للمسرح المصرى ٠ فهو بالرغم من هذا القفص الصدرى المطبق ، والوجه المفصص ، وهو بالرغم من ساقيه المعوجتين ، وأوراكه التى تشبه أوراك معزة حاوى مفلس ٠ هو بالرغم من هذا سيصبح فتى أحلام طبق المهلبية ٠٠ هذه البنت السنيورة الغندوره التى هى فتاة أحلام كل الرجال ٠

هذا الدويتو العجيب ، الحسناء والقرد ، سيصبح أنجح كوبل فى المسرح المصرى الحديث ، ولم يكن فؤاد المهندس مغامرا حين ارتبط بهذه البنت الحلوة المجهولة التى لا يعرفها أحد ، والتى أصابها الفشل الذريع عندما صعدت أول ليلة على خشبة المسرح ٠٠ لم يكن فؤاد المهندس مغامرا ولكنه كان يجرب وصفة جربها الريحانى من قبل ٠

وكانت الوصفة ناجحة للغاية ضمنت للريحانى التفوق المطلق ، ومع التفوق ضمنت له الاشتهار والازدهار ٠

شويكار المهندس ، هى بديعة مصابنى الجديدة ، وهى ميمى شكيب بعد ذلك ٠ ومن نجيب وبديعة ، ثم نجيب وميمى ، كانت الضحكات ترن بين جدران مسرح الريحانى ٠ لقد أدرك الريحانى أن ارتباطه بالحسناء يرضى غرور الرجال ، خصوصا وأن معظم الرجال يحسون بالنقص ، ويحلمون بأن تقع النساء الجميلات فى غرامهم ، وتبقى الاحلام مجرد أحلام طبعا ، ولكن الاحلام تتحقق على مسرح الريحانى ، ثم تتحقق بعد وفاة الريحانى على مسرح فؤاد المهندس !

وذكاء فؤاد هو الذى جعله يطمع فى تقديم روائع المسرح العالمى ، سيدتى الجميلة ، الملك وأنا ، ايرما الغانية ، ولو كانت امكانيات فؤاد المهندس فى حجم ذكائه لاستطاع أن يحقق شيئا كبيرا ولكن العين بصيرة واليد قصيرة وليس كل ما يتمنى المرء يدركه ، على رأى شعراء العرب الاقدمين !

وذكاء فؤاد المهندس هو الذى جعله يقبل العمل مع المؤسسة حين وضعت المؤسسة كل امكانياتهاتحت امره . وذكاؤه هو الذى دفعه الى رفض العمل مع المؤسسة حين قررت المؤسسة أن تضع امكانياتها فى خدمة العمل الفنى وليس فى خدمة الفنان ، فالعمل الفنى لايهم فؤاد المهندس ، لان العمل الفنى طظ ، والفن طظ وأى شىء وكل شىء طظ ، الا اذا كان المحور والهدف والغاية هو فؤاد المهندس !

وذكاء فؤاد المهندس هو الذى جعله يعدل مساره قليلا لينحرف عن مدار الريحانى ، وليصبح له فى النهاية مدار مستقل ، حتى صوت الريحانى الذى ركبه فؤاد المهندس فى البداية تخلى عنه بعد ذلك . وهو استخدم الريحانى كصاروخ دفع حتى انطلق الى الفضاء الخارجى ثم تخلى عن الصاروخ بعد ذلك ، واتخذ لنفسه مدارا حول الكرة الفنية !

وهو من لحظة اشتهاره والى ان ينتهى ستكون كل الاشياء بالنسبة له مجرد سلالم . وسيصعد فؤاد المهندس كل مراحل حياته على كل السلالم ثم يركلها بقدمه ويقذفها الى بعيد فهو قرر منذ البداية ان يكون ارتباطه الوحيد بفؤاد المهندس . وهو لن يبحث فى مستقبل المسرح المصرى ، او تعلية شأن الكوميديا فى مصر .. ولن يهتم باى شىء . ولكن محور قلقه واهتمامه سيكون فؤاد المهندس ذاته ، واذا كان مدبولى قد اشترك فى صنع المهندس يوما فلسوف يركله المهندس عندما يحين الوقت .

واذا كان سمير خفاجى قد ساهم فى صنع المهندس فلسوف يلقى مصير مدبولى هو الآخر ، انها ليست حركة نذالة ، من فؤاد المهندس ، ولكنه سلوك طبيعى ليحتفظ فؤاد باثمن واغلى شىء فى حياته .. وهو فؤاد المهندس . ولكن اذا كان هذا السلوك يؤدى الى خير فى المدى القريب ، فهو يؤدى الى كوارث فى المدى البعيد . فهذه الانانية الشديدة ، جعلت فؤاد المهندس لايهتم بأحد الا فؤاد . فلا مسرح خاص ولا فرقة خاصة .. ولا شلة زملاء يصنعون معا شيئا للمستقبل ، ولا جيل جديد ينبغى تربيته ورعايته .

وهو يعمل فى المسرح بالقطعة وينفض المولد دائما مع آخر يوم من أيام الرواية .. ولكن ذكاؤه سيخونه فى موقف واحد : هو موقفه من السينما .. انه لكى يبتعد عن الريحانى دخل فى جاذبية اسماعيل يس ودار حوله .. واصبح فؤاد المهندس جوكر السينما المصريه وفى كل يوم نشاهد له افلاما باخراج فطين عبدالسميع وحسام عبد السميع وعبدالسميع عبد السميع .

وهى افلام لا تخرج عن دائرة افلام اسماعيل يس فى اللوكاندة .. واسماعيل يس فى الشاطىء .. واسماعيل يس فى المطعم الى آخر هذا الهرش مخ الذى قضى على اسماعيل يس قبل الاوان !

ولكنى اعتقد ان ذكاء فؤاد المهندس سيشده مرة أخرى خارج هذه الدائرة وسيفر من حكم الإعدام ، أو على الاقل سيستبدله بالاشغال الشاقة المؤبدة .

وهى مسألة ضرورية وهامة للغاية .. لان فؤاد المهندس هو أكثر الناس لمعانا فى المسرح المصرى . وهو أكثرهم جماهيرية . هو الفنان الوحيد الذى يستطيع أن يحل بالفعل محل نجيب الريحانى كزعيم للكوميديا ومحور لها فى مصر والعالم العربى .. وهو بذكائه ولياقته البدنية ، وعلى فكرة فؤاد المهندس يتمتع بلياقه بدنيه يحسده عليها كباتن كرة القدم ولو كان على أبو جريشه يتمتع بنفس اللياقه التى يتمتع بها المهندس لضمن لنفسه لقب احسن لاعب .. ليس فى مصر وحدها ولكن فى العالم كله . وفؤاد المهندس يعرف هذه الحقيقة ويعرف كيف يستغلها ، وهو لذلك يستطيع أن يضحك الناس حين يتكلم .. ويستطيع اضحاكهم أكثر حين يتحرك .. وهو قادر فى كل وقت على أن يمثل بصدره وبمؤخرته وبكعوب رجليه وبرموش عينيه وصلعة راسه ! ولكن هذه الموهبة الضخمة

الجبارة تتبدد كدخان فى الهواء . انه يتصرف كرجل يملك مليون جنيه اشترى بها حشيشا لينسطل وينسجم ويحلق فى الفضاء اللانهائى ويحلم اسعد الاحلام . ان فؤاد المهندس لانشغاله الشديد بنفسه لم يلحظ حركه الجماهير يوما ما ولم يحاول أن يرتبط بها على الاطلاق . وهو ينظر الى الحياة بعين مغلقة وعين نصف مفتوحة . وهذه العين النصف مفتوحة تنظر دائما الى فوق ولا تنظر أبدا الى تحت .. فهو مضحك الطبقة الجديدة . وحتى عندما تحرك لينقد ، نقد القطاع العام ومؤسساته ليس نقدا من أجل الاصلاح ولكن فقط للسخرية والانبساط ، وهو أعلن صراحة انه يتخلى عن دور الافندى البسيط الغلبان ليؤدى الادوار الشيك ، دور المؤلف فى مسرحية حواء الساعة ١٢ ، ومدرس الملوك فى مسرحية سيدتى الجميلة . ثم لانه لا يريد أن يتفرغ للمسرح . يلعب حركة قرعة على الجماهير فيتصدى للاخراج وكانت رواية حصة قبل النوم دليلا على انه أخرج الرواية وهو نائم .. ولكن فؤاد المهندس رغم كل شىء سيكون أطول المضحكين عمرا .

وسيظل أطولهم باعا ،وسيكون اسمه أشهر الاسماء فى دنيا المضحكين .. لأنه اذا كان بينهم من يتمتع بموهبته ، فليس من بينهم من يتمتع بذكائه . ولو أدرك فؤاد المهندس أنه وصل الآن الى الفضاء الخارجى ، لو أدرك أنه من خلاله نستطيع أن نحقق كوميديا هادفة وكوميديا راقية .. ولو تخلى فؤاد المهندس عن الطبقة التى اختارها ليضحكها ، ولو فتح عينه النصف مغلقة ليشاهد حركة الجماهير الواسعة العريضة ، لو أنه ذاب فى زحمة الناس ،

وملا خياشيمه برائحة العرق ، لو قبض بأصابعه على حفنة من طين الارض . لو فعل فؤاد المهندس هذا كله ، لصار بلاجدال وبلا نقاش ، مضحك مصر .. ولكن فؤاد المهندس حتى ولو لم يفعل ذلك ، سيظل أشهر مضحك وأكبر مضحك ، غير أنه سيضحك الناس من أجل لا شيء .. سيضحكهم لكى يقال أنه اضحكهم . بدلا من أن يكون صاحب مدرسة سيتحول الى صاحب سيرك . وبدلا من فؤاد المهندس ، سيصير فؤاد المهرج ... ويا أسفاه !

لعل المثل التونسى ٠٠ المليح يبطىء ٠٠ لا ينطبق على احد من المضحكين قدر انطباقه على أمين الهنيدى ٠٠ فلقد ظهر الهنيدى متاخرا ، وظهر على استحياء ، وكان صوته أخفت الاصوات وسط ضجيج شلة ساعة لقلبك ، وحين كان الخواجا بيجو هو موضةالعصر ، وحين كان الفتوة نجما من نجوم الفكاهة ٠٠ كان فهلاو يطل من خلال ثقب صغير فى البرنامج وكان يطل على استحياء ، كأنه بنت فلاحة اكتشفت أن صدرها يبرز للامام فجاة ، ولعل الولد الصعيدى المتحرك فهمى عمر لم يدرك عمق هذه الموهبة ، ولم يستطع تحديد أبعادها ، وهو منهمك اشد الانهماك وسكران بنشوة نجاح البرنامج وشهرته ٠٠ ولكن فهلاو الفنان انفجر كالقنبلة فجأة عندما منح الفرصة فى مسرحية جليل البندارى شفيقة القبطية ، واستطاع أن يبرز الى الصف الاول فى دور الشيخ حسن ، الضرير الصايع المتافق ٠ وبعد الشيخ حسن جاءت الشهرة ومع الشهرة جاء النحس والغرور معا ٠٠ فلقد كان الشيخ حسن هو أحلى دور قام به حتى الآن ٠ واذا استثنينا دوره فى الشبعانين ودوره فى حلمك يا شيخ

الأ

علام ٠ لم يشترك أمين الهنيدى فى نص واحد محترم ! ورغم ذلك استطاعت الموهبة العظيمة أن تخفى عورة النصوص ٠ ولكن خيبة أمين الهنيدى أنه ظن أن الموهبة تستطيع ان تستره الى نهاية العمر ٠٠ ولم يدرك أن لكل شيء طاقة ، وان لكل طاقة حدودا ٠ فلم يلبث أن انكشف الهنيدى فى مجنون بطة ٠ وكانت ضربة ابعدته قليلا عن مكانه ، واذا لم يتدارك أمين الهنيدى نفسه فستكون هى أول علامة على طريق الغروب ، ستكون بداية النهاية ! واعتقد أن أمين الهنيدى لايقرأ من النص الا دوره، ولايقرأ فى الصحف الا ماهو متعلق به شخصيا ، ولعله يقيس صلاحية النص بطول دوره ، وعدد المنلوجات التى سيلقيها وحده ، ولذلك ستأتى رواياته كلها ، مجرد دور وحوله بعض التحابيش ، ويضيف هو من عندياته ، بعض النكت وبعض القفشات ، هذا عدا القافية التى لابد منها بين المضحك والجمهور ٠ ولكن هذه المهمة ليست مهمة فنان على مسرح ، ولكنها مهنة مهرج فى سيرك ، أو بلياتشو فى جوقة تعرض فنها فى الشارع ، وهذا اللون من الفن ترفضه الجماهير اذا قدم على خشبة المسرح ، مهما كان الممثل عظيما أو موهوبا ، لعل الهنيدى لجأ الى هذا الاسلوب لضعف النصوص !

أو لجأ الى هذا الأسلوب لشىء مافى داخله !! فهو دائما يريد أن يكون الاوحد ، لا أحد معه ولا أحد من حوله ، وهو عندما كان طالبا فى معهد التربية كان يصبح فتوات القاهرة ، وكان يبحث كل ليلة عن خناقة باى ثمن .. وكان بعد كل خناقة ، ينزوى وحده فى ركن بعيد ويبكى حتى الصباح . الرجل الحزين الوحيد، فجأة وجد نفسه أشهر من شارع الساحة ، ووجد نفسه فجأة تغمره الاضواء على خشبة مسرح . وامامه جمهور دافع فلوس وقاطع تذاكر ومستعد لان يتفرج وان يضحك ! وتحركت كل العوامل الدفينة فى نفس أمين الهنيدى ، هاهى الفرصة تسنح ليقف وحده ، وكشافات النور مسلطة عليه . والعيون كلها متعلقة بشخصه ، والآذان كلها مرهفة لسماعه . لم يعد أمين الهنيدى مجرد شخص فى الزحام ، انه النجم والبطل وصاحب المولد ، وداعا اذن لايام ساعة لقلبك ، ها هو عصر جديد يدخل فيه أمين الهنيدى ، وستسنح فرصة أكبر فى الشبعانين ، ليضحك ويبكى ويرتدى ملابس الشحات ويضع على رأسه تاج الملوك ، وليسب المتفرجين جميعا وبحماس غريب ، ياشبعانين يا ولاد الكلب .. ثم هو يلعلع فى الاذاعة فى مسلسلة اقوى رجل فى العالم ، ومخيمر الثالث عشر . انه سيلمع دائما مادام هو الاوحد ، ومادامت الرواية هى شخصه ولا أحد سواه . ومن

اجل هذا يرفض الاستمرار فى تسجيل مسلسلة أخرى منذ عامين ، لان موضوعهامش ولابد ، ولان موعد اذاعتها غيرملائم ! ولكن السبب الحقيقى أن رمضان أصبح زحمة ، وفؤاد المهندس يحتل اهم موعد فى أهم برنامج ، وأمين الهنيدى يريد أن يكون وحده ولا أحد سواه ! وعندما لايجد نصوصا كثيرة كالشبعانين يهمل النص تماما ويقف على خشبة المسرح ليخاطب الجمهور بكلام من عنده ، ويدخل قافية مع رواد الدرجة الثالثة ، وهو اذا وجه ناقد اللوم اليه ، انبرى للدفاع عن مسلكه ، باعتباره السلوك الامثل ، وباعتبار أن المسرح الحقيقى هو أن تذوب الحواجز بين الفنان والجمهور ، لأن المسرح ليس الا سيركا ثابتا ، والسيرك ليس الا مسرحا متنقلا ! وهكذا سيمضى أمين الهنيدى لينتقم لسنوات غطس فيها تحت الماء بينما طفا الزبد على السطح !! وهو سيشعر بالسعادة حقا ، ولكنه سينسى شيئا هاما ، أن يكون له منهج أو تكون له غاية ، فهو لايريد الا أن يقف على خشبة مسرح ، أو أمام كاميرا تتحرك لتصور فيلما ، أو خلف ميكريفون اذاعة ليتكلم ويبقبق ، ولا شىء يهم بعد ذلك مادام دوره هو الدور الاطول ، ومادام الذين معه لن يسمح لهم بالكلام أكثر من دقيقة ، واذا كانوا محظوظين ، فسيسمح لهم بالكلام،

دقيقتين ! ثم هو سارح بعد ذلك فى الليل وحتى الصباح ، ثم هو نائم بعد ذلك وحتى يحين موعد فتح الستار • واذا كان عبد المنعم مدبولى هو نتاج مدرسة على الكسار ، واذا كان المهندس قد خرج من معطف الريحانى ، فأمين الهنيدى مدرسة أخرى تماما ، انه تلميذ مخلص للمرحوم أحمد المسيرى • وكان أحمد المسيرى فنانا عظيما ، وكان له مسرح مرتجل ومرتحل أيضا ، كان يعرض كل يوم فى قرية جديدة ، وكان يتولى تأليف رواياته وهو على خشبة المسرح ، كان يجمع أفراد الجوقة ويشير نحو أحدهم ويقول •• أنت الملك ، ويشير نحو الآخر ويقول ، أنت الوزير ، وأنت الملكة ، وأنت الحاجب ، وأنا الخدام • مفهوم • افتح الستارة يا وله • ولحظة فتح الستار لا يكون أحد من الممثلين المشتركين فى الرواية يعرف ما الذى سوف ينطق به ، ولا من من الممثلين هو الذى عليه أن يبدأ الكلام ؟! وكان المسيرى واثقا دائما من أنه سيأكل الجميع •• فهو أعظمهم موهبة ، وهو أرسخهم قدما على المسرح ، وهو يستطيع دائما انتزاع الضحكات بأى كلام ! ولكن من سوء حظ أمين الهنيدى أن عصر المسيرى قد ولى ، وليس فى الامكان اعادة المسيرى الى الحياة من جديد ،

لان كل شىء قد تغير • الظروف والزمن وطبيعة المتفرجين • فأنت لا تستطيع أن تكون المسيرى الجديد الا اذا وضعت نفسك فى نفس ظروف المسيرى القديمة • ولكن عندما يكون لك مسرح ثابت ، وروايات مكتوبة ، وجمهور لا يتغير فأنت لا تستطيع أن تكون المسيرى حتى ولو حاولت • وقد يسأل سائل ، نحن نعرف المسرح الثابت ، ونعرف الروايات المكتوبة ، ولكن ما هو الجمهور الذى لا يتغير ؟ وكيف لايتغير بينما كل يوم تدخل المسرح أفواج جديدة ! وتتمزق تذاكر جديدة ! وعلى هذا فلابد أن يكون فى كل يوم جمهور جديد !

وهذا كله صحيح ولكن من واقع النظرة السطحية • ولكن النظرة العميقة للامور تقول ، ان جمهور مسرحنا لا يتغير •• خصوصا مسرح المهندس وعوض ومحمد رضا وأمين الهنيدى ، لانه عندما يكون ثمن أغلى تذكرة سبعين قرشا ، وثمن أقل تذكرة ربع جنيه ، فان جمهور المتفرجين سينحصر فى طبقة واحدة ، هى الطبقة القادرة على الشراء ، وهذه الطبقة المتفرجة لا تتغير ، وهى قد تتسع وقد تضيق ، ولكنها أبدا ستظل محصورة فى

نطاق من يستطيع الدفع ، ومن يستطيع أن يجد مواصلات تحمله الى المنزل • خصوصا واننا دون دول العالم جميعا ، نسدل الستار بعد منتصف الليل دائما ، واحيانا فى الثالثة صباحا • والدليل على أن جمهور مسرحنا لا يتغير ، هو أن المسرحية تموت ـ رغم الدعايات الواسعة ـ اذا أبدى روادالليلة الاولى اشمئزازا منها ، أو غضبا عليها ، أو غادروا أماكنهم فى المسرح قبل نهايةالتمثيل ، والسبب أنهجمهور قريب من بعضه وهم يلتقون دائما فى النوادى وفى المكاتب وفى الكافيتريات التى تسهر طول الليل ! ولكن أمين الهنيدى لايدرك هذه الحقيقة •• أو لعله أدركها بعد مسرحية مجنون بطة • ولعله يستفيد من هذه التجربة المرة ويحاول النهوض منجديد ، ليخلق لنفسه مسرحا لائقا به ، وليبحث لنفسه عن نصوص تليق بموهبته ، وليته يعلم ان وقوفه منفردا على خشبة المسرح لا يفيده ، وأن قيامه بدور مرسوم فى روايته خير له من أن يكون دوره هو الرواية ! وليته يتعلم أن الغرور يقتل الموهبة وليته يدرك ان موهبته العظيمة فى حاجة الى شىء من ذكاء فؤاد المهندس •• وفى حاجة الى شىء من اخلاص محمد عوض • لانه مضى ذلك

الزمان الذى كان فيه الفن مجرد سهر فى الليل وصياعة حتى وش الفجر ، وسلوك ليس له من ضابط الاالرغبة والمزاج • ويا ميت خسارة على أمين الهنيدى ، مضحك مصرى عظيم ، فيه رائحة عرق المصرى الصايع وعقد المصرى المستوظف ، وتطلعات المصرى المتشعلق ، وخوف المصرى المسحوق !

ولكن •• هل انتهى أمين الهنيدى ؟ هل بدأ انسحاب أمين الهنيدى من دائرة الضوء الى الظلام والظل ؟ أنا أقول لا •• فلا يزال أمام الهنيدى فرصة •• ويستطيع أن يستأنف صعود الجبل مرة أخرى والى القمة ، ويستطيع أن يبقى على القمة زمنا طويلا • ولابد أنيدرك أنه يقف الآن عندمفترق الطرق • وعليه وحده يتوقف الامر • أما أن يصبح مسمارا كبيرا فى آلة ضخمة هى المسرح ، واما يتشبث بأن يبقى الاوحد . حتى ولو انهدم المسرح عليه •• وأيا كانت النهاية ، فستبقى ذكراه طويلا ، كأحلى مضحك مصرى ـ وأضع عشرة خطوط تحت كلمة مصرى ـ وادعو له بالذكاءوالبقاء وطول العمر !!

ال

ع ب ى ط

ليس بالذكاء وحده يكسب الانسان ، ولكن احيانا كثيرة يكسب الانسان بالعبط !

ولعل محمد عوض هو أصدق دليل على ان العبط قد يصبح راس مال فى الحياة . ومحمد عوض ليس عبيطا فقط ، ولكنه عبيط الى درجة تجعله شيخا للعبطاء !

ولكن المصيبة ان محمد عوض هو الرجل الوحيد الذى يتوهم أنه أنصح من عفريت وأحوط من جن العطفة المتلبد على راى عمنا حسين شفيق المصرى ، وهو فعلا كذلك فى أشياء ، ولكن حاصل الجمع فى النهاية يجعل محمد عوض فى كشف العبطاء ، ودليل نصاحة محمد عوض عنده أنه النجم الوحيد الذى أفرزته مسارح التليفزيون .. وهو الذى سخر امكانيات العشر مسارح ورواية كل عشر دقايق .. لخدمته . ولتصنع منه فى النهاية نجم شباك .. بل لعله المنافس الوحيد لفؤاد المهندس فى هذا المجال .

ودليل ذكاء محمد عوض عنده ، انه داخ دوخة الارملة قبل أن يصبح هذا النجم الشهير ، هو اشتغل كومبارس واشتغل وكيل كومبارس ، وسكن عمارة الفن فى البدروم واستطاع رغم كل شىء أن يصنع النجاح وأن يصنع نفسه . كل ذلك صحيح ومظبوط وعال العال . غير أن عبط محمد عوض . يكمن فى أن كل ذلك لن يؤدى به الى شىء ، ذلك أن مصيبة عوض أنه فن بلا عقل . وهو بعد جلفدان هانم لم يستطع أن يقدم شيئا ذا قيمة .. وبعد الشهرة غرق لشوشته فى دوامة التفاهات وسر هذه الفرقة أنه من عشاق نجيب الريحانى .

ولا غبار على الفنان أن يعشق فنانا آخر ، ولا ضير أن يتتلمذ الناشىء على أستاذ . ولكن الخيبة والمصيبة أن يظل التلميذ فى مدرسة الإستاذ الى الآن ، وأن يرتبط به الى الحد الذى يصبح صدى له وظلا يمشى وراءه .. ولقد كان الريحانى فوق كونه فنانا عظيما .. أستاذا بحق .. وبينما مضى الكسار والمعلم يحبح كانهما لم يمرا على دنيانا ، ذهب الريحانى وأثره فينا حتى النخاع .. والمسرح المصرى لايزال يدور فى فلك اثنين لا ثالث لهما ، اولهما يوسف وهبى ، والثانى الريحانى .. واذا كان فريد شوقى هو امتداد ليوسف بك ولكن على شوراعى ، فحسن الامام امتداد ليوسف وهبى أيضا ولكن على غباء .

وستجد الريحانى موجودا فى المهندس والهنيدى وعوض ومحمد رضا ومدبولى وحسن مصطفى وابراهيم سعفان • ولكن ذكاء المهندس جعله يعدل مساره لينحرف قليلا عن مدار الريحانى وليتخذ لنفسه مدارا آخر فى فضاء الفن اللانهائى • بينما أدى عبط عوض به الى الدوران حول نفسه حتى صار جزءا من نظام الكون الذى أسسه الريحانى ، بينما كون الريحانى عفا عليه الزمان واصبح بعيدا عن روح العصر •

ولذلك سنجد ان صوت محمد عوض يكاد يكون اقرب أصوات المضحكين الى الريحانى ، وسنكتشف أنه يختار روايات من نفس الفترة التى اختار منها الريحانى • وهى اذا كانت مقبولة فى زمن الريحانى فهى لم تعد تعالج قضايا الساعة او تمس مشاكل الزمن الذى نحيا فيه • ثم هو مثل غيره من المضحكين أصحاب الطريقة الريحانية ، يؤمنون بالنجومية فهم محور الاحداث ، وهم مسمار الرواية •• وكل شىء وأى شىء فى الرواية يفرش لهم ويخدمهم ويضعهم فى البرواز اللائق أمام الجماهير • ولكنه لانه عبيط ولانه مؤمن بالريحانى بعبط فسنجده يترك الامور

تسير حسب التساهيل فلا خطة ولا تخطيط •• وهو النظام الذى كان يؤمن به الريحانى ، والشعار الذى كان يرفعه • وبينما كان الريحانى يشترك فى تمصير الروايات ، نجد عوض يشترك فى التمثيل وفى التحصيل فقط ! وسنكتشف أنه غير مهتم بتكوين نجوم أو احتضان شبان وانما إهتمامه الوحيد سيظل من الآن والى الابد بشخص واحد هو محمد عوض •

وسنجد فرقة محمد عوض أى ناس وأى أحد فلا شىء يهم مادامت الفرصة امامه سانحة ليصرخ ماشاء له الصراخ ، وليظهر ماشاء له الظهور ، وحبذا لو كانت الرواية فيها دور يرتدى فيه عوض ست شخصيات مرة واحدة • وهو لانه مؤمن بعوض فقط سنجده يدور على بيوت المقتبسين يبحث فى أدراجهم عن روايات تصلح للاقتباس • فبهجت قمر مثل عبد الله فرغلى مثل حسين عبد النبى ، وكله صابون على رأى المثل •• وبينما كون المعلم الاكبر نجيب الريحانى شركة مع المقتبس العظيم بديع خيرى • سنجد ان شركة محمد عوض هى أغرب شركة فى التاريخ ، لانها بين شخصين لا ثالث لهما ، هما محمد عوض و •• محمد عوض ، لكنه رغم ذلك أكثر المضحكين حبا للمسرح واكثرهم اخلاصا له •• وسنرى محمد عوض العبيط — وهنا العجب — يدير ظهره للسينما ليتفرغ حقيقة للمسرح • وسيقاتل بأسنانه من أجل أن يصبح له مسرحه الخاص • وسيقاتل أكثر لكى يظل أكل عيشه مربوطا بالمسرح ولا شىء سواه • وحتى هو فى هذه النقطة يظل تلميذا مخلصا للريحانى الذى لم « يتخلف » ليلة واحدة طوال أربعين عاما عن الوقوف على خشبة المسرح

والذى اعتبر السينما نوعا من الالحاد الفنى على المؤمنين ان يتجنبوه وأن يسألوا الله الا يوقعهم فى شباكه • ورغم الازمات التى تعرض لها الريحانى ، فقد ظل يقاتل حتى آخر العمر من أجل مسرح كوميدى عامر، وبيت مسرحى له تقاليد وله تلاميذ وله دراويش يخلصون له الى آخر العمر • ولقد وجد محمد عوض المسرح ولكن عليه أن يبلور أسلوبه فى الضحك، وأن يتبين طريقه وسط مدينة المضحكين وأن يسعى لكى يبنى مدرسته ، وأن يكتشف تلاميذه • ومحمد عوض لكى يحقق هذه الامنيات عليه أن يغير من تفكيره ، فهو كما قلت فن بلا عقل ، وموهبة بلا مغزى ، وتعليم بلا ثقافة ، وتمثيل بلا نقطة بداية ، وطريق بلا معالم ، ولذلك ليس له هدف وان كان من المحتم ستكون له نهاية !! وستكون نهاية محمد

عوض خلال عشر سنوات ، هذا اذا سار بنفس الاسلوب وعلى نفس الطريقة ، ولكن لماذا عشر سنوات على وجه التحديد وهل أنا منجم أضرب الرمل واوشوش الودع وأبين زين واشوف البخت ؟ والجواب انني لست من علماء الفلك ، ولا أنا بساحر أو منجم ، وأنا حددت الفترة لسبب • فرغم بروز عوض كمنافس لفؤاد المهندس كنجم شباك ، الا أن الواقع أن الحياة ستمضى بالمهندس بينما تضيق الحياة أمام عوض كلما امتد به العمر •• فعشاق محمد عوض هم بقايا رواد مسرح الريحانى الذين لايزال صوت الريحانى يرن فى أسماعهم • الذين توقفت بهم الحياة عند مرحلة الريحانى ، فلا فن سوى فنه ، ولا روايات الا فى مسرحه ، ولا صوت بعد صوته • هؤلاء سرت الرعشة فى أبدانهم مرة أخرى عندما سمعوا صوت محمد عوض ، ان فى صوته نفس

البحة ونفس الشرخ ومحمد عوض رغم أنه عبيط الا أنه يدرك هذه الحقيقة ويستخدمها أحسن استخـــدام • ولكن لأن من قوانين الحياة أن كل شيء يقوم ومعـــه عوامل فنائه • كذلك يسرى قانون الحياة على محمد عوض ، فميــزته هي قاتلتــه ، وصوته هو الذى سيقضى عليه • لان صوته هو الذى شــد اليه بقايا رواد مسرح الريحانى وهؤلاء من جيل سابق •• هو اذن فنان مرحلة مضت وليس فنان المستقبل •

وهؤلاء الذين شدهم صوته اليه هم الذين يدورون حــول الخمسين ، تحتها بقليل ، وبعدها بقليـــل ، وهؤلاء هم القوة الشرائية • وهم أصحاب النفوذ فى المكاتب • وأصحاب السلطة فى الشركات ، والمتعطشون دائما الى قضاء بضع ســاعات مع

مصحك يرفه عنهم • ولقد وجـــدوا فى عــوض ضالتهم المنشودة • ولكن هذا الجيل الذى يلتف حوله ، ســينتهى خلال عشر سنوات • والاجيال التى ستأتى بعدذلك سترفض عوض بشدة لأنها لم تسمع صوت الريحانى ولم تنجـــذب لهـــذا الصوت ، وعلى الفنان عوض لكى يبقى أن يتخلص من عشاقه وأن يرتمى فى أحضان الاجيال السعيدة المجيدة القادمة ولكن قبل ذلك مطلوب من عوض أنيتخلص من أشياء كثيرة فى داخله • ومن أشياء كثيرة فى خارجه ومن حــوله • وأنا أشك أن عوض سينجح فى انتزاع نفسه مما هو فيه • ليس لانه متمنت أو مصر • ولكن لانه كالفراشة ذاهب الى حتفه بجناحه• وأيضا لانه عبيط !

VI

الذى يلعب هذا الدور ينبغى أن يتمتع بمواهب جسـدية
قبل موهبة التمثيل .. الكرش لابد أن يبرز الى الخارج ،
واللغد لابد أن يتدلى أسفل الذقن ، والعبط لابد أن يرتسم
على ملامح الوجه ، والبلاهه لابد أن تتجلى فى نظرة العينين ..
باختصار .. الممثل الذى ترشحه الاقدار لهذا الدور يجب أن
يكون عبيطا وغبيطا وأبله عظيما ليس له بين البلهاء نظير ..
والفنان محمد رضا ، هو الوحيد الذى يتمتع بهذه الصفات
كلها من بين كل الاحياء من الممثلين . ولذلك استطاع محمد
رضا أن يشق طريقه بسرعة الى القمة ، واستطاع أن يدخل
بسهولة فى قلوب الناس ، رغم انه ليس روميو عصره ، ولا
يصلح لدور العاشق الولهان .وهو رغم شكله الذى يوحى
بأنه تاجر بطيخ فى سوق الخضار ، ورغم عبطه الذى يؤكدان

الانسان أصله حمار ، ورغم طبيعة دوره المحدود الذى فرض
عليه أن يؤديه ، الا انه استطاع ان يقوم بأدوار البطولة ، وهو
الشىء الذى لم يحدث لأحد من الذين قاموا بهذا الدور قبل
محمد رضا .. ولقد كان المرحوم عبد العزيز خليل أعظم من
قام بدور ابن البلد ، وبالرغم من موهبته العظيمة لم يستطع
أن يظهر على الشاشة فى أى فيلم أكثر من دقائق ، ولم يقف
على خشبة المسرح أكثر من ربع ساعة .. ودفنت هذه الموهبة
العظيمة فى التراب دون أن تعطى كل ماعندها للناس . وكان
المرحوم عبد الفتاح القصرى موهوبا وعبقريا .. ولكنه ظل
حياته كلها محبوسا فى البرواز الذى وضعه فيه نجيب
الريحانى ـ وظل فى السينما يقوم بدور المهرج والعبيط ..
ولدقائق .. ومضت هذه الموهبة العظيمة دون أن تفرز كل
العسل المخزون فى جوفها للناس .. وظهر عشرات بين هؤلاء
ولكن مواهبهم المحدودة وقفت بهم عند الباب ولم تدفع بهم الى
أحضان الجماهير كما حدث للثلاثة الكبار عبد العزيز خليل ،
وعبد الفتاح القصرى ، ومحمد رضا . ولقد كان أبرز هؤلاء
المحدودين عبد الحميد زكى ، وهو يبدو عبقريا مثل أورسون
ويلز فى دور ابن البلد البلطجى ، ولكن بشرط ألا يزيد الدور
عن خمس دقائق ، فاذا طالت المدة ، لهث العبقرى وانقلب
شديد الضعف والغلب والضمور . وكان المرحوم عبد المنعم
اسماعيل أخف دما من عبد الحميد زكى ، ولو وجد من
يكتب له أدوارا فلربما استطاع أن يحقق شيئا كبيرا ..
ولكن مطالب العيش وعدم وجود مؤلفين يكتبون هذا اللون ؛

جعل عبد المنعم اسماعيل يدور كالنحلة يمتص أدوارا صغيرة في الافلام الهايفة، ثم قنع في النهاية بدور الكومبارس ، ثم آثر أن يترك الحياة منتحرا وهجرها بدون كلمة وداع ..

ويقف محمد شوقي في الوسط بين الكبار والصغار .

وهو رغم انه موهوب وخفيف الدم الا انه لم يستطع ان يحقق شيئا ذا قيمة فنية . ولعل ظهوره في فرقة الريحاني بعد وفاة الريحاني ، وانحطاط الفرقة على يد ورثة بديع خيري قبل ان يطرا على الفرقة هذا التطور الاخير ، جعل محمد شوقي يدور في حلقة مفرغة من الهيافة والتفاهة والكلام الفارغ العظيم . ومن هذا التراث البعيد والقريب كله ، خرج محمد رضا واتجه هذا الاتجاه دون أن يتعمد الوصول اليه . ولقد كان محمد رضا يتمنى ان يصبح ممثلا مثل شكري سرحان، لمشارب دوجلاس ، ونظرة عين تصيب الوزة العراقي وهي طايرة في السما . وهو دخل الفن في البداية من باب الافندية . وظهر في أفلام في دور وكيل نيابة ، وأحيانا في دور طبيب ، وربما

قام مرة بدور ولد حبوب .. ولكن محمد رضا لم يجد نفسه الا في رواية نعمان عاشور « الناس اللي تحت » .. عندما ظهر في دور الفقي النصاب الذي يبيع عافيته لامرأة عجوز مثل القردة لديها عمارة وفي يديها تشخلل الاساور . وعلى صدرها الموهر ، يلمع الكردان .. وفي دور المعلم كرشه تالق محمد رضا كانما هو كرشة الحقيقي ، وكان نجيب محفوظ لم يكن يقصد أحدا حين كتب الدور سواه .. ثم بدأت رحلة محمد رضا العجيبة .. وجلجل صوته عبر الاثير في « حتى يعود القمر » . والجدعان ، والولد الشقي ورضا بوند ... وعلى المسرح استطاع أن يؤكد موهبته في النصابين والحرافيش والمفتش العام .. وفي السينما استطاع أن يقوم بدور البطولة في رضا بوند ، وهو الشيء الذي لم يحدث لاحد مثله من قبل، واعتقد أنه لن يحدث لاحد مثله بعد ذلك . واذا كان رضا هو أول ممثل من نوعه يقوم بدور البطل ، فهو أيضا الأخير... وهو ايضا سيكون الاخير في هذا اللون .. فلن يظهر بعد محمد رضا ممثل آخر في دور ابن البلد .. حتى الذين ظهروا بعده ماتوا لحظة الميلاد .. أبو الفتوح عمارة ووفيق فهمي .. ولم يكن سبب موتهم أن موهبة محمد رضا غطت على الجميع .. صحيح أن هذا سبب من الاسباب ، ولكن هناك أسبابا أخرى اعمق . فهذه الشخصيه الان في سبيلها الى الانقراض .. وبعد ربع قرن على وجه التحديد سيختفي أولاد البلد من حواري القاهرة ومن الاسكندرية ، ومعهم أيضا سيختفي الترزي العربي والمكوجي الرجل ، هذا اذا لم يكن قد اختفى الآن . .

وهذه الشخصية المصرية الحلوة ستصبح مجرد أسطورة بعد ربع قرن ·· وسينظر اليها أبناء السنين القادمة نظرة مختلفة عن نظرتنا نحن اليها الآن ·· وربما اعتبروها نوعا من المخلوقات المنقرضة التى عفا عليها الزمان ·· انها شخصية محكوم عليها بالموت ·· وسبقتها علامات ·· فاختفاء الفتوات ، وضياع الحرف وسط مداخن المصانع الكبيرة ·· وانتشار التعليم وزيادة حجم العمالة واتجاه سكان المدينة الى ارتداء الزى الشائع · الجاكتة والبنطلون · كل هذه الاسباب قضت على هذه الشخصية بالضياع · واذا كان محمد رضا قد جدد شباب هذه الشخصية ونفخ فيها الروح ، فهى مجرد صحوة الموت التى تسبق الوفاة ·· وسيظل محمد رضا متالقا فى هذا الدور حتى يموت ·· ولكن بموته ، تموت هذه الشخصية ، حتى اذا ظهر من بعده أحد سيعود الى مكانه الطبيعى ، باهتا ·· وفى الظل ·· مجرد دبور يلف مع الارزاق ويلف عليها بلا هدف ما !! ولكن هناك احتمالا قائما

أن يموت محمد رضا وهو على قيد الحياة ·· فهو من كثرة ماقام بدور العبيط والغبيط والاهبل ·· اصبح اهبل وعبيطا وغبيطا بالفعل ·· وهو قرر فى لحظة من لحظات حياته أن يتخلى عن الدور الذى صنع مجده ·· وأن يعود الى دور الأفندى ، ليؤكد للناس أن موهبته ذات اضلاع ·· وفعلا خاض تجربة مرة قام فيها بدور البطولة فى رواية مقتبسة لبهجت قمر ، وظهر فيها محمد رضا فى دور البيه الذى تتهافت عليه النساء ·· ولكن التجربة كانت مرة طحنت عظامه ·· وجعلته يعود الى الطريق الذى لايزال هو علما عليه ·· وخيبة محمد رضا انه يعتقد انه من نفس طينة فؤاد المهندس وأمين الهنيدى وهى خيبة كبرى لان ميزة محمد رضا انه فنان محلى ، انه التعبير الصادق عن قطاع بارز فى الحياة المصرية ·· والمحلية هى أول خطوة فى طريق العالمية : بشرط أن يكون الفنان الذى تختاره الاقدار ممثلا للمحليه ·· فنانا بحق ، وعبقريا ليس له نظير ، وان يكون لسان الناس الذين يمثلهم فى برلمان البشريه ·· وان يكون مؤمنا وصاحب قضية ·· ولقد أصبح جوركى كاتبا عالميا من خلال ايمانه بالبسطاء فى روسيا المريضة : ولانه كان مندوبا للفقراء الروس فى هيئة الامم الابدية · ولانك فى كتاباته تشم رائحة الارض الروسية ·· ولكن محمد رضا رغم موهبته الفذة يبدو مهتزا عديم الايمان بما يصنع ، انه كذاب لانه صاحب بالين ، وهو كان من الممكن أن يظل سنيدا ·· وصيوفا سجمع هايف — لو دار فى طاحونة الروايات المقتبسة ، روايات المهندس وعوض ، وهو تالق فقط فى روايات نجيب محفوظ والعبد لله وعبد الرحمن شوقى ·· ولكن حلمه القديم لم يفارقه لحظة فى أن يصبح ممثل حركات مثل عوض والمهندس ·· خيبة

رضا العريضة انه لم يدرك انه لكي يتالق لابد من كلام لكي يحلق بمحمد رضا نحو السماء .. الكلام هو المنطاد الذى يمتطيه رضا أثناء التحليق ، ليس معنى هذا أن رضا ليس له فضل فى عملية الصعود .. ان نفس الكلام اذا نطقه ممثل آخر هبط به الى أسفل سافلين .. ومن حظ رضا انه الممثل الوحيد من نوعه الذى يصلح لكل أدوار ابن البلد . كان عبد الفتاح القصرى يتالق كثيرا فى دور الحانوتى والتربى . وصاحب البيت الرذل .. كان القصرى هو ابن البلد الغلس التلقيحة الذى يجيد فتح الرءوس والكروش وكان عبد العزيز خليل أعرض من عبد الفتاح القصرى ، كان يبدو فوق غلاسته انه يحمل على كتفه حكمة الدهر ، ومن بريق عينيه كانت تشع تجربة الحياة .. ومحمد رضا هو كل هؤلاء..ولكن خيبته انه لايدرى ..وهولذلك سيظل يحاول الهروب من الكلام الذى خلق له ، ليؤكد انه وحده هو الخالق ، وانه يستطيع ان ينفخ الروح فى أى كلام .. ولو كان مقالا منشورا فى جريدة .. ولكن محمد رضا لن يكتب له النجاح اذا أصر على

المضى فى هذا الطريق .. لقد اختارته الاقدار ليقوم بهذا الدور ولينطق بهذا الكلام .. وتصادف ظهور محمد رضا مع فترة التحول الاشتراكى ، حيث أصبح للناس البسطاء مكان على مائدة السياسة المصرية ، وأصبح لهم دور فى اعادة صياغة الحياة .. ولقد بدأ نجم رضا يلمع فى صدور قرارات يوليو ١٩٦١ وهو سيظل مرتبطا بالتطور الاجتماعى فى مصر ، وسيظل هو الفنان الوحيد صاحب المصلحة فى تعميق هذا الاتجاه .. ويخطىء رضا كثيرا اذا حاول الهروب الى طريق المهندس او عوض . لقد هرب مرة محمد رضا من الطريق الذى كان مرسوما له ، وكان هروبه ضربة معلم .. عندما قرر أن يترك وظيفة المهندس فى شركة شل ليتفرغ للتمثيل .. ولكن محاولة الهروب هذه المرة سيكون فيها القضاء عليه .. ولا احد يتمنى ان ينتهى ذلك الفنان العبيط الغبيط الذى لمع فى حياتنا وفرض نفسه علينا واصبح واحدا من اعظم المضحكين .. محمد رضا . الاول .. والأخير !

الطبال

المضحك

كداب الزفة

كان اسكتش «دكتور ·· الحقنى» هو اول عمل فنى للثلاثى، ونال دكتور الحقنى شهرة كبيرة رغم تفاهته ، ولم يلبث الثلاثى ان أصبح مادة مقـررة فى التليفزيون ، ثم انفصل عنه فـلان ليحل محله سمير غانم ، أو كذاب الزفة فى الثلاثى الذى شق طريقه الى المقدمة واستطاع ان يفرض لونه المميز · ولم ينجح الثلاثى بالهبلونى ، ولكنه نجح بالعمل والدأب والالحاح على العيون والاسماع ، ولانه توافرت فيه عناصر فنية لم يسـتطع دكتور الحقنى التافه أن يكشف عنها ، ولكن الرحلة الطويلة التى قطعها الثلاثى كانت كفيلة بالكشف عن هـــذه العنـاصر وبروزها وتدشينها ايضا كلون من ألوان الفكاهة المصرية كان له فى تاريخنا القريب والبعيد تاريخ !

المضحك

فهذا الثلاثى هو تطوير لفكرة الجوق وهو مسرح الشارع· وكانت العروض تقدم فى أى مكان ·· والجمهور دائما حاضر، وكان كل جوق يضم عدة افراد يدهنون وجوههم بالمساحيق ويعفرونها بالدقيق واحيانا يدهنونها بالزفت ، وكانوا يرتدون كل الملابس ، عمائم ، طرابيش مغربى · بدل سهرة · فساتين حريمى ، بناطيل قصيرة · مونوكلات ، قفاطين · وكانوا يقومون بالتشخيص والتطبيل والعزف على الآلات · فان تعذرت عزفوا على الحلل والزجاجات والاكواب ·

وكانوا يقدمون روايات مرتجلة وروايات محفوظة واغانى ذاع معظمها وشاع · أشهرها ياطير يامروح على بلدك ليه بتنوح وانت مروح ، ولا والنبى ياعبده !

وكان لكل جوق نجم مشهور ، حمزة فى المنوفية وقنزيح فى الجيزة ، وعبد الشافى فى القلعة · و ·· و ·· ثم ظهرت الاذاعة وتراجعت فرق الشارع ثم ظهر التليفزيون فاختفت تماما ، ومن بقى منهم تطور وعاد فى ثوب قشيب ، السـيد حلال عليه فى الاسكندرية ، واحمد العدل فى المنصورة ·

ولكن الثلاثى ظهر فجأة لينتقم لفرق الشارع لتى سفكت الاذاعة دمها ، واخفى التليفزيون جثتها ، وظهر الثلاثى مطورا ومطهرا ، وعاد ليطل على الناس ، من نفس الاجهزة التى كانت السبب فى اختفاء هذا الفن !

وانبهر سكان العلب بالجوق الجديد ، هؤلاء الذين لم يشهدوا العصر الذهبى لفرق الشارع لان الشارع فى عصرهم أصبح ضيقا ومزدحما .. ولان وقتهم لم يعد يسمح بالتسكع ، بل ان الغالبية العظمى قطعت كل صلة لها بالشارع ، فاصبحت لاتراه الا من نافذة السيارة ، أو من خلال شيش المكتب ، ولعل هذا هو سر نجاح الثلاثى رغم تفاهة الفن الذى قدمه للناس فى البداية . ولكن عظمة الثلاثى أنه استطاع تطوير فنه . ومن دكتور الحقنى الى طبيخ الملايكة ، ومن التليفزيون الى المسرح . وسبب آخر هو أن كل فرد من الثلاثى ظهر ومعه مواهبه الخاصة .

الضيف أحمد ـ يرحمه الله ـ هو أراجوز الجوق وهو بشكله وحجمه .. المضحك المختار ، وكانت الطبيعة سخية معه فاعطته كل ما يجعل الرجل العادى منفرا ، ويجعل الرجل المضحك محبوبا ! الحجم السفروت ، والوجه المغضن المقلحف المعبر . والبق المفشوخ كبوابة جهنم ، والظهر المحدودب ، والسيقان .. كأنها سيقان معزة المرحوم غاندى ! أراجوز لاشك ، فاذا كان الاراجوز يتمتع بعقل ، ومن تجربة الحياة استطاع أن يستخلص لنفسه ثقافة معينة وفهما محددا . اذا حدث هذا العناق بين ماأعطته الطبيعة وما منحته التجربة ، كانت النتيجة فنا عظيما تماما كما يتعانق النيل الازرق والنيل الابيض عند أم درمان . ليخرج من هذا العناق العظيم النيل الاعظم .

وهكذا كان الضيف فى الثلاثى ، الاراجوز والمضحك ، خليطا بين توتو الايطالى وحمزة المنوفى . عصير فرناندل وحسن كامل وشرفنطح !

الموهبة الثانية فى الثلاثى .. هذا الولد السمين المتختخ جورج . انه الممثل . وهو موهبة فى هذا المجال وله باع طويل ، وهو نوع نادر بين الممثلين . عينة لطراز عظيم ، نموذج لصنف جيد للغاية .. جزء من شارلز لوتون وعبد الغنى قمر وصلاح منصور !

وكداب الزفة

وهو يستطيع الآن أن يغير مساره ـ بعدموت الضيف ـ وأن يتجه بموهبته وبمفرده نحو هذا الميدان · ولو صادفه مخرج فاهم وسيناريو جيد ورواية حقيقية وحظ حسن لشق طريقه الى القمة بسهولة · انه صاحب الموهبة النادرة التى تؤدى أى دور وبسهولة · ولكنه السهل الممتنع · وفى فوازير رمضان قام بأداء أكثر من شخصية · ولكن لجوءه الى الهزء وترقيص الحواجب وهز البطن كان يوقف هـذه الآلة التى تتقن كل الادوار ، كأنه نهر لايجد مجرى ، كأنه قطار فقد القضبان ، كأنه مركب انكسر شراعها فجأة · وياخسارة جورج لو ضل هذا الطريق ، سيلمع سنوات أخرى قليلة ثم ينطفىء ، لان الضحك تركه وذهب ، ولأن السادة الاجاهل ـ على وزن الأفاضل ـ بنوع السينما سيصرون على اعتصاره هكذا كما ظهر ، وحرام أن تضيع موهبة عظيمة مثل موهبة جورج ، وحرام أكثر أن يبدد هو موهبته فى فن الجوق لانه وحده يستطيع أن يصبح جوقة كاملة !

ثم يأتى دور سمير · وهو فى الثلاثى مجرد كداب زفة ·· فلا هو مضحك ولاهو ممثل · ولكنه ضرورة للجوق · وفى كل جوق كان يوجد كداب زفة · وكان كداب الزفة يقوم وحده بتمثيل رواية كاملة قبل بدء التمثيل ·· وكان الهدف منها هو جمع المتفرجين من عرض الطريق · وكان يستخدم كل شىء ·· الرقص والزمر والقفز والصراخ والعويل والعزف والتطبيل ·· وهو يستطيع أن يصنع كل هذه الاشياء ، لكنه ليس علما على أى منها ·· وكان كداب الزفة ينجح دائما فى لم شمل الناس ، فاذا بدأ الشغل اتخذ لنفسه ركنا ليس مع الجمهور وليس مع الاراجوزات · فهو لايتفرج ولا يلعب · ولكنه بين الحين والحين يتدخل فى الشغل بهبالة ·· ويضيف الى الرواية المعروضة أحداثا يؤلفها ويقوم بتمثيلها فى الحال · وهو يتدخل أكثر من مرة ، ولكن المرة لاتستغرق أكثر من دقيقة : وينتهى تدخله بصفعة على قفاه ! وبهذا المشهد الصغير كان كداب الزفة يعتصر الضحكات من قلوب المتفرجين · فاذا انتهى الشغل ، حمل كداب الزفة على كتفه متاعا أكبر ، وعند القبض كان يتناول أجرا أقل ·· ولو لم يعمل سمير غانم مع الثلاثى ، لكان هو التطوير الأمثل لاسماعيل يس كمنلوجست · فهو بهيئته البسيطة وصوته المتلون ، بين الأجش والمسرسع ، كان يستطيع أن يكون ملك المنولوج فى مصر ·· ولكنه أصبح كداب الزفة فى الثلاثى ، وأعاد الى الحياة دورا كان له فى فننا دور ، كداب الزفة الذى كان يجمع شمل السامر ، ويجمع النقطة من الحاضرين ، ويحمل متاعا أكثر ، ويقبض أجرا أقل ·· ولكن مصيبة سمير انه ليس جورج وليس الضيف ، ولكنه معهم ·· وهو لكى يستمر لابد أن يكون مع أحد · جورج مثلا يستطيع

ان يجرب حظه وحده ويستطيع ان يحقق فى الفن امجادا شخصية .. والضيف ـ يرحمه الله ـ كان يستطيع ان يصنع الشىء نفسه .. ولكن سمير لايستطيع أن يكون الا كداب زفة .. وهو لكى يكون كذلك لابد له من جوق تضم مضحكا وممثلا .

هكذا كان الحال فى فرق الشارع .. صاحب العدة .. البيانو والعود وأدوات اللعب كلها ، ومضحك واحد وعدة ممثلين ومطرب وكداب زفة .. وكان اذا حدث خلاف بين صاحب العدة وبين المضحك ترك المضحك الجوق والتحق بجوق آخر .. وكان صاحب الجوق الآخر يرحب بالمضحك ولو كان لديه عدة مضحكين .. واذا لم يكن من وراء المضحك فائدة للجوق ، فهو على الاقل سيسبب انهيار الجوق الآخر . هكذا

كان الحال مع الممثلين ومع المطربين .. الا كداب الزفة .. كان الجوق يهجره الجميع الا صاحب العدة وكداب الزفة .. لانه لكى يكون كداب زفة لابد له من جوق .. وكان كل جوق له كداب زفة وعلى الباب خمسة فى الانتظار ..

على العموم . اذا أراد الثلاثى أن يستمر ، فعليه ان يستعين بضيف آخر : أقصد بمضحك آخر . ولا خوف من أن صورة الضيف قد التصقت فى أذهان الناس وسيفشل حتما من يحل محله .. فهذا مجرد هراء .. وسيعتاد الناس على المضحك الجديد كما اعتادوا على الضيف ، ولكن بشرط أن يكون مضحكا بحق ، ومضحكا بالفعل . وأنا أرشح اثنين ، ولا ثالث لهما : سعيد صالح ، أو عبد السلام محمد . وأرجو للثلاثى النجاح والاستمرار .

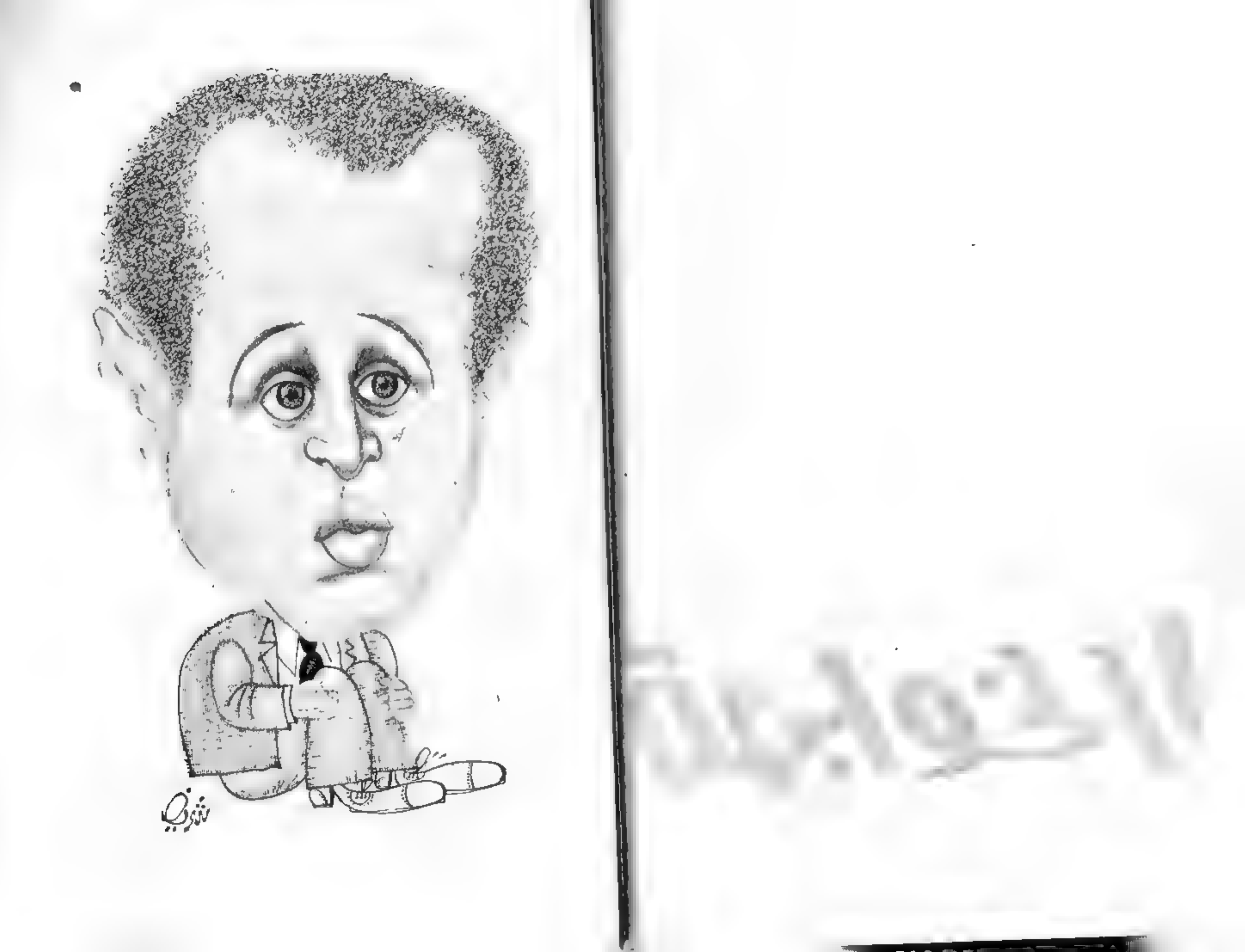

موهبته عريضة مثل السمك البلطى ، وناعمة ورقيقة مثل حرير اليابان ، ومتعددة الالوان مثل يفط الاعلانات ٠ ورغم ذلك فهو أقل المضحكين الكبار حظا وأقلهم فرصة و ٠٠ أقلهم شهرة! والسبب ٠٠ عيب فى جمهور المسرح و السينما عندنا ، وعيب فى داخل الفنان نفسه ، فلا زلنا رغم كل شىء أسرى مدرسة يوسف بك وهبى ، وهى مدرسة افترضت عند قيامها منذ نصف قرن ان المتفرج حمار ومسطول وغائب عن وعيه ! ولذلك كان يوسف بك وهبى لايختار من النصوص الا المباشر منها ، ولا يختار فى فرقته من الممثلين الا أصحاب الاصوات الجهيرة البهيرة الرنانة ٠ هو نفسه كان صوته أكثر الاصوات زعيقا ، وكانت حنجرته أشد الحناجر صراخا ٠ ولعل هذا هو السبب — فضلا عن أصالة موهبته — الذى جعل يوسف وهبى يتربع على عرش الحركة الفنية كل هذه السنين الطويلة .

ولقد كان من رأى يوسف وهبى انه لايجب أن يموت الممثل على المسرح كما يموت الناس فى الحياة بل يجب أن يموت على المسرح مرتين ومن هنا ستتكرر كثيرا عبارة « أنت ذلك الوحش الزنيم نامش الاعراض وخارب البيوت ، الذى لعق بلسانه فى دم شرفى تلك الليلة الظلماء الحالكة السواد ، جزاؤك لايكون الا الموت ، ومصيرك الفناء ، خذ ياعدو الله ، خذ خذ ٠ خذ ٠ عليك اللعنة » ومع كل خذ ٠ طعنة خنجر بينما القتيل يظل يصرخ بالصوت الحيوانى حتى بعد اسدال الستار ! من هنا سيضيع عبد المنعم ابراهيم لانه لايملك هذه الموهبة الجعورية ٠٠٠ نسبة للجعورة ٠ لأن صوته ناعم مثل موهبته ، وهو بذلك سيدخل الحلبة مجردا من السلاح الذى فرضه يوسف وهبى على مزاج الناس ! والسبب الآخر هو أن عبد المنعم ابراهيم ابتعد عن مزاج المتفرج المصرى واقترب من مزاج المتفرج الخواجا ٠ انه بملامحه الهادئة وحركاته البسيطة سيتحول الى مضحك خواجا ٠

ولو ظهر عبد المنعم ابراهيم فى انجلترا مثلا ، لشق طريقه الى القمة بسهولة ٠

انك تلمح وتشم فيه رائحة المضحك الامريكي لوريل زميل هاردي . ولذلك سيحجبه عبد السلام النابلسي رغم الفرق الهائل بين الموهبتين . وحتى بعد اختفاء النابلسي ولمعان نجم عبد المنعم . سيزاحمه أبو بكر عزت وبدر الدين جمجوم رغم أن أبو بكر عزت مضحك مع المجاملة ، وبدر الدين جمجوم لاعلاقة له بالمضحكين ! سبب ثالث جعل عبد المنعم ابراهيم يقف محلك سر كانه عسكري محكوم عليه بطابور ذنب ، هو وجود عبدالمنعم فيالمسرح القومي . حيث النصوص ينبغي أن تكون من نوع القمقمور ، وهي كلمة ليس لها أي معنى ، ولكن يمكن اضافتها الى اللغة العربية بمعنى الشخشروف ! ولو وجد عبد المنعم ابراهيم فرصة كالتيوجدها فؤاد المهندس وامين الهنيدي في مسارح التليفزيون ، ثم في فرق القطاع الخاص فلربما استطاع أن يحقق شيئا . ولكن وجوده في المسرح القومي ، قضى عليه بأن يتحرك في حدود . حتى عندما هاجر من المسرح القومي الى المسرح الكوميدي ، ساقه سوء الحظ الى رواية « كوميدية » تاليف الفريد فرج . والفريد مؤلف كوميدي .. اذا افترضنا أن بهجت قمر شاعر من العصر الأموي !

سبب رابع وأخير جعل عبد المنعم ابراهيم في ذيل القائمة ، هو انه مشغول ومرهق جدا بمشاكله الشخصية . وهي

مشاكل من النوع الذي يساعد على التحطيم وليس على التكوين !

ياميت خسارة على عبد المنعم ابراهيم قطعة حجر ياقوت في وزنزانة مساجين كلهم خرمانين وكلهم يبحثون عن سيجارة !

ياميت خسارة عليه بئر بترول في صحراء يبحث سكانها عن زجاجة ماء مثلج دون جدوى ! شيء باهر جدا ولكن لا قيمة له في السوق المنصوبة . والحياة دائما تحتضن من تريده حتى ولو كان الذي تريده هو يزيد بن معاوية ! ولعل سبب ضمور عبد المنعم ابراهيم في المسرح انه داخ دوخة الارملة فيمسرح اسماعيل يس . أيدور وأي كلام واي حاجة .. لم يلتفت عبد المنعم ابراهيم الى انه من الممكن أن يكون له مسرح او تكون له فرقة . ولم يعن كثيرا بأن يبحث عمن يكتب له نصا ، ولكنه ترك الأمور سبهللة . أو بالعربي الفصيح تجري في أعنتها .

وعندما ذاق طعم الاستقرار في المسرح القومي هدأ تماما كانما الاستقرار كان ضالته المنشودة ، وعكف عبد المنعم ابراهيم على نهر الحياة يشرب منه بلا هوادة ، ومن أجل الحصول على مايلزمه من أموال راح يجري كالارنب ، خارجا من استديو اذاعة داخلا في استديو سينما ، واقفا على باب التليفزيون : متسامحا مع الجميع ، فليس له شروط.! وبعد أن كانت موهبته هي المريضه ، أصبح هو نفسه المريض ، منتشرا أي نمو ولكن بلا عمق ، كانه بحيرة أبو جاموس . ولكن شيئا فشيئا فقد عبد المنعم ابراهيم هذا الانتشار لان المثل يقول : من يعرف كثيرا لايعرف أحدا . ولان الذي لاقرية له لا مدينة له ..

وعاش اليتيم عبد المنعم ابراهيم في مأدبة اللئام . فلا هو نجم شباك تجري وراءه الفرق الخاصة . ولا المسرح القومي قادر على تقديم عبد المنعم في البرواز الذي يليق بموهبته ولا السينما استطاعت أن تصنع منه بطلا . ولا هو نفسهقادر على أن يخرج من هذا الحصار المضروب من حوله .

ولكن هناك سؤال يظل يلح علينا طالبا الاجابة ٠

السؤال يقول : لو أتيحت الفرصة لعبد المنعم ابراهيم فى مسرح التليفزيون كما أتيحت لغيره ٠٠ هل كان الوضع يتغير؟ هل كان عبدالمنعم ابراهيم يصبح نجما فى حجم فؤاد المهندس ؟ بصيغة أخرى ٠٠ هل خسر عبد المنعم ابراهيم وفقا للقاعدة الاقتصادية الشهيرة ، العملة الزائفة تطرد العملة الصحيحة !

الجواب وبالتأكيد ٠٠ لا ! لسبب ان فؤاد المهندس مثلا ليس عملة زائفة ٠٠ وعبد المنعم ابراهيم أيضا عملة صحيحة ٠

وبالتأكيد أيضا عبد المنعم ابراهيم أكثر موهبة وأرهف حسا وأرق فنا من محمد عوض ، ومحمد عوض فنان هو الاخر ولكنه اكثر جماهيرية وأروج سوقا من عبدالمنعم ابراهيم ٠ ان عبدالمنعم ابراهيم بلغة الفلوس مثل الجنيه المصرى ، وفؤاد المهندس مثل الليرة اللبنانية ، والجنيه المصرى هو أقوى عملة فى العالم حتى الآن فانك تستطيع أن تشترى بالجنيه المصرى فى القاهرة ماتستطيع أن تشتريه بخمسين ليرة فى بيروت ٠ ولكن الجنيه المصرى فى سوق هونج كونج لايساوى أكثر من أربع ليرات لاتزيد ٠ انها ليست قيمة الجنيه المصرى الحقيقية ، ولا هى قيمة الليرة الفعلية ٠ ولكنها ظروف السوق ، وبورصة الاوراق المالية ٠

ولو أن كل الامكانيات وضعت تحت أمر عبد المنعم ابراهيم ، ولو خدمته كل الظروف ٠ لظل عبد المنعم ابراهيم مكانه هكذا ٠ لا هو فوق ولا هو لامؤاخذة من الناس اللى تحت ٠ والسبب انه ليس مضحكا مصريا بقدر ماهو مضحك لكل البشر ، ولو

ظهر عبد المنعم ابراهيم أيام السينما الصامتة لاستطاع أن يضحك الناس وأن يكون له شأن ٠

ولكن فى مصر حيث مدرسة يوسف وهبى ، وحيث كان صوت الريحانى يجلجل وهو خلف الكواليس وقبل الظهور على المسرح ٠ وهو يتمتع كامين الهنيدى والمهندس ومحمد عوض ومحمد رضا بجاعورة ليس لها مثيل ، وان كان لكل منها صفات مميزة ٠٠ هنا فى مصر ، سيبقى عبد المنعم ابراهيم مكانه وسيتحالف ضده المزاج العام وروتين المسرح القومى ومزاج عبد المنعم ابراهيم الشخصى ٠

وسيبقى الخواجا محلك سر ، وسيحجبه حتى عبد السلام النابلسى وسيزاحمه حتى أبو بكر عزت وحتى بدر الدين جمجوم !

ورغم ذلك سيظل عبدالمنعم ابراهيم أكثر المضحكين احتراما واعظمهم مكانة لدى المثقفين ٠٠ وخصوصا ٠٠ الذين تثقفوا فى الغرب ٠ وسيضحك من الاعماق لفنه هؤلاء الذى يضحكون لاوسكار وايلد ومارك توين ٠

سيحدث له كل شيء فجأة ، فجأة يحيا وفجأة يموت ، وفجأة يعلو وفجأة يسقط ، وسيصبح هو نفسه ظاهرة طبيعية ليس لها مغزى وليس لها تفسير . وعندما بدأ اسماعيل يس رحلة حياته العجيبة لم يكن يحلم بأكثر من ان يكون منلوجستا يضحك المعازيم فى الافراح والليالى الملاح . لكنه بالصدفة صار أشهر منلوجست فى مصر ، وصارت له مدرسة وأصبح له أتباع .. ثم بالصدفة أيضا دخل السينما وصار بين الممثلين !! ثم بالصدفة أيضا أصبح بطلا ، ثم أصبح البطل الوحيد للسينما المصرية وعلى مدى خمسة عشر عاما . واستطاع أن يفرض اسمه على شباك التذاكر وعلى الموزعين . ثم صار اسمه بعد ذلك هو اسم الفيلم . اسماعيل يس أولا .. ثم يبدأ البحث عن اسم للفيلم .. واسماعيل يس فى البحر . واسماعيل يس فى البر ، واسماعيل يس فى الارض . ليس مهما أين يوجد أو أين يستقر !! ولكن المهم اسماعيل يس فى الاول ، ثم بعد ذلك فليكن مايكون ! ثم فجأة .. وكما يحدث فى بعض

الروايات، تدحرج اسماعيل يس من القمة الى النسيان . وكان السقوط رهيبا وخاطفا . تماما كما يحمل بعض الناس فردا على الاعناق الى قمة جبل ، ثم يقذفون به فجأة الى الهاوية ! ولم يكن اسماعيل يس أول من سقط ولن يكون آخر من يتدحرج ! ولكن أهمية سقوطه انه كان نهائيا وحاسما . فجأة اختفى تماما كأنه المدمرة ايلات عندما ضربتها الصواريخ المصرية . لامسرح ولا سينما ولا حتى فى مسلسلات الاذاعة والتليفزيون ! لم يعد أحد يهتم بالرجل الذى كان يوما ما علما على الفكاهة فى مصر . وانزوى الرجل الضاحك الغلبان وكأنما هو الآخر استعذب الاختفاء ! وضاع اسماعيل يس ولكن ضياعه كان حكما على مدرسة هى مدرسة الكروتة والاستهانه والاستخفاف بعقول الناس ! وكان سقوطه دليلا على ان الجماهير تمهل ولاتهمل . وأن حاسة التفوق عندها لم تمت . وانها أقوى من تجار الفن وأقدر ! ولابد ان تكون مأساة اسماعيل يس درسا لكل المضحكين اللامعين الآن .. ولابد أن تكون مادة للدراسة لكل المهتمين بالفنون على الاطلاق .

انه مثل أبوللو ١٣ التى مرقت فى العـــلالى حتى القمر ثم انفجرت فجأة !! ولكن الفرق الوحيد بين اسماعيل يس وأبوللو ١٣ ، أن الأخيرة انفجرت رغم كل الحسابات الدقيقة التى وضعها العلماء لكى تحول دون هذا الانفجار . ولكن اسماعيل يس لم يعمل حسابا لشىء كانه كوكب يجرى فى فلك معلوم . أبو السعود الابيارى يكتب واسماعيل يس يقوم بالتشخيص . وعلافيت للسينما المصرية عند الباب فى الانتظار . والمسرح فى الليل عامر بالزباين . وكان مسرح اسماعيل هو المسرح الوحيد فى العالم القادر على تقديم رواية جديدة كل أسبوع . واذا كان عرض الرواية يستغرق ثلاث ساعات فالمؤلف أبو السعود الابيارى قادر على تأليف الروايات فى ثلاث ساعات أيضا . وهو لا يحتاج الى أكثر من مائة ورقة فلوسكاب. وتدخين أربع شيش ودمتم والسلام ! ولاشىء يهم اذا كانت الرواية الجديدة فيها نفس حوادث الرواية القديمة ! ولا يهم اذا كان اسماعيل يس يردد نفس النكت التى رددها من قبل ! ان الجمهور مغفل ورواد المسرح أغبياء ! وهم يترددون على المسرح ليس ليتعلموا ، ولكن ليضحكوا وينبسطوا ، ولا يضحك الناس الا الكلام الفارغ ولا يبسط الجمهور مثل النكت البايخة والحوار الهايف !

النكت واسماعيل يس هما محور المسرح ولاشىء بعد ذلك . صحيح أنه لن يظهر على المسرح وحده بل سيظهر حوله ممثلون ، وبعض هؤلاء الممثلين لهم أسماء لامعه وشهرة عريضة . ولكنهم سيكونون مجرد بطانة تقوم بمهمة الفرش لاسماعيل يس ، وترييحه أيضا ، تماما كبطانة عمنا الشيخ على محمود . مهمتها أن تعطى فرصة للشيخ كى يتمكن من التقاط أنفاسه . وليس من حق أحد فى البطانة أن يطالب بحقوق فنية أو يحلم بأن يقف يوما مكان الشيخ ، أو حتى يشترك معه فى الانشاد . هكذا فن التواشيح ، أما فن المسرح فهو شىء آخر ! ولذلك سنشاهد على مسرح اسماعيل يس عشرات من الممثلين الكبار ولكنهم سيهربون جميعا واحدا وراء الآخر .

وهو من شدة ايمانه بنظرية « الجمهور المغفل » لن يهتم أبدا برعاية موهبة جديدة أو تنمية فنان موهوب . وهو سيعمى تماما عن رؤية الموهوبين . ليس حقدا عليهم ، ولكن استخفافا بهم . وهو بدأ من نقطة الاستخفاف بالجمهور ولكنها ستجره الى الاستخفاف بكل شىء بعد ذلك . عبد المنعم ابراهيم سيقضى مدة سنيدا فى مسرح اسماعيل يس ثم يهرب . وعدلى كاسب سيدخل المسرح فترة قبل أن يولى الادبار . واستفان روستى سيقف مثل خيال الما ته على خشبة المسرح حتى يموت . وعبد الغنى قمر سيأخذ لفه قبل ان ينكص على عقبيه ، حتى الممثل الكبير محمود المليجى سيتدحرج الى الحضيض كل ليلة على خشبة مسرح اسماعيل يس . لأنه لا يجد دورا يقوم به ، ولايجد كلاما ينطق به ولكنه سيظهر على المسرح كل ليلة لكى يتقاضى الاجر المتفق عليه !

ونظرة واحدة على كشف الممثلين الذين عملوا فى مسرح اسماعيل تجعلنا نكتشف أنه لا يوجد ممثل واحد – على الاقل – لم يعمل على مسرح اسماعيل · حتى بدر الدين جمجوم وحتى نور الدمرداش وحتى صلاح منصور ، وحتى عبد الفتاح القصرى يرحمه الله · ولكن أحدا لم يستمر معه الا فهمى أمان مد الله فى عمره ، وزكى ابراهيم طيب الله ثراه ، والسبب أنهما لم يكونا طامعين فى شىء · انهما على استعداد دائما للظهور فى أى دور ، وعلى استعداد لأن يقولا أى كلام ·· وأن يتقاضيا أى اجر ، وهو شىء يرضى اسماعيل يس ، ذلك لأن الشمس ليست فى حاجة الى مجموعة الكواكب المحيطه بها ، ولكن الكواكب هى التى فى حاجة الى الشمس !

وبهذا الاسلوب دخل اسماعيل يس فى السينما · المهم ان يكتب أبو السعود الابيارى ، وأن يقوم بالتشخيص اسماعيل يس ، ثم أى ناس وأى حاجة ، وكان الله يحب المحسنين · ومضت سنوات طويلة وتغير كل شىء حول اسماعيل يس ، ولكنه لم يتغير · ولم يستطع أن يرقب حركة نمو المجتمع ، ولم يحاول أن يفهم روح العصر ، ولم يحاول أن يشغل نفسه بأى شىء الا التمثيل وقبض الفلوس · وتحول اسماعيل يس الى آلة وانعزل تماما عن المجتمع · و ·· صحيح أنه يشترك فى أفلام ولكنه لم يشاهد أفلاما قط ، ويشترك فى مسرحيات ولكنه لم يشاهد مسرحيات قط · وهو يجيد القراءة والكتابة ، ولكنه لا يقرأ قط ، ولا يكتب قط !

ووقع اسماعيل يس فريسة بين مخالب أسرته وأنياب

أبو السعود الابيارى · على هؤلاء التفكير والتدبير وعليه التنفيذ ·· وبالضبط ! واستيقظ ذات صباح ليجد أن كل شىء قد رحل بعيدا الا فهمه · السينما أصبحت مشكلة بسببه ، والمسرح أصبح مهجورا لأنه أخطأ فهم الجمهور ؛ والعيال الذين كانوا يعملون « تحت ايده » أصبحوا نجوما ومشاهير · وبالقطع هو لم يفهم لماذا أصبح هؤلاء العيال نجوما ومشاهير · او بالتأكيد هو اراح نفسه واتهم ذوق الجمهور بالفساد وان عصر الفن الحقيقى قد ولى · وأنا اقطع بأن اسماعيل يس لم يشاهد مدبولى ولا المهندس ولا رضا ولا عوض ولا الهنيدى حتى هذه اللحظة ، واقطع أيضا بأنه لا يعترف بوجود أحد منهم · ولعله فى انتظار أن يستقيم ذوق الجمهور مرة أخرى فيعود ليلتف من حوله · ولكنه سيظل فى انتظار جودو الذى لن يحضر على الاطلاق !

وسيبقى اسماعيل يس مكانه فى الظل يجتر ذكريات مجده الذى ولى · وسيظل يشعر بينه وبين نفسه بالفخر على ما حقق من انتصارات · ولكنه نفس الفخر الذى يشعر به قادة الجيش الالمانى فى الحرب العالمية الثانية ·· صحيح أنهم حققوا انتصارات عظيمة ولكن النتيجة كانت ·· الهزيمة الكاملة ! صحيح أنهم زحفوا الى مشارف موسكو ، ولكنهم وقعوا وثيقة الاستسلام فى برلين نفسها ! ولكن ·· هل اسماعيل يس هو المسئول عما حدث ؟ اعتقد أن هناك مسئولين كثيرين عن نهاية إسماعيل يس ، ولكن اسماعيل نفسه ليس من بينهم · لقد كان اسماعيل مجرد أداة ، أما المسئول ، فهم هؤلاء الذين أخذوا على عاتقهم مهمة التخطيط

له • والذى لاشك فيه ان اسماعيل يس فنان موهوب وخفيف الدم الى أبعد الحدود • وله حضور لدى الجمهور ، وهو حتى هذه اللحظة لايزال أقدر الجميع على اضحاك البسطاء من الناس • لانه فى النهاية بسيط مثلهم ، وغلبان مثلهم ، وضعيف الحيله مثلهم •• واللوم كله يقع على عاتق أبو السعود الابيارى يرحمه الله • فقد تولى عنه مهمة الفهم!

ولذلك لم يفهم اسماعيل يس حتى هذه اللحظة لماذا سقط من حالق ؟ ولماذا انتهت به الحال على هذا الوضع الغريب ؟ ذلك لان الذى كان يفهم كل شىء ذهب • ذهب أولا بالخصام ثم ذهب بعد ذلك بالوفاة !

ولكن هل مضى اسماعيل يس من حياتنا الى غير رجعة •

اعتقد أن فى استطاعة اسماعيل يس أن يعود لو قيض الله له « فهيما » آخر – بتشديد الهاء – يتولاه ، ويعيد صياغته وعرضه على الجمهور من جديد • انه قادر فى كل وقت على أن يضحكنا من الأعماق • بشرط أن يدرك سر التغير الذى حدث فى المجتمع ، وأن يفهم روح العصر • والا •• فسيبقى ولكن كمأساة تصلح مادة خصبة لكى يغنيها المطرب حواس على الربابة ، كاسطورة غريبة ، وسر غرابتها أنها حدثت بالفعل !

ا
ل

ورغم كل شيء استطاع ان يحتفظ بتوازنه فلم يسقط من فوق الحبل . ورغم ان الحبل الذى كان يمشى عليه لم يكن صالحا للاستعمال ، ورغم أن الحبل تعرض لعواصف كثيرة واعاصير لان ليس لها مثيل . الا ان اللاعب ـ وهذا هو العجب ـ استطاع أن ينجو بنفسه واستطاع أن يؤجل وقوع الكارثة التى كان يتوقعها الجميع .

ورغم ان سعيد ابو بكر كان مرشحا منذ البداية ليكون مضحكا الا أنه صار مستوظفا واصبح له دوسيه بين المستوظفين ! وكانت الوظيفة التى اختارتها له الاقدار أحقر من أن تتسع لمواهبه . كان مستوظفا فى أحط درجات الوظائف: رغم أنه سليل عائلة ضخمة بالفلوس وعدد المديرين .

كان اول عمل لسعيد ابوبكر هو سكرتير مصنع الثلج بالسويس ، ثم عندما ترقى فى سلك الوظائف أصبح سكرتيرا لمهندس البلدية ، ورغم أن عمه كان سكرتير عام البلدية : وهو منصب مهيب كانت له ابهة وصولجان فى ذلك الزمن القديم! الا أن سعيد كان مضطهدا ومنبوذا ، وخصوصا من اسرته ، وهنا مربط الفرس كما يقولون .

هاتر

كان سعيد أحقر من أن يفخر بقرابته أحد ، وكان أفقر من ان يعقد معه أحد صلة ما . ولذلك عندما جاء الى القاهرة أول مرة باحثا عن مكان له تحت الشمس ، واتجه بذكائه الى الميدان الذى خلق له .. الفن ! لم يكن فى واقع الامر يبحث عن مجال يستعرض فيه مواهبه ، بقدر ما كان يبحث لنفسه عن طريق يرفعه درجة اجتماعية تجعله يرتفع فى أعين الناس . كان يبحث لنفسه من خلال الفن عن طريق للخلاص ، ليس ليستمتع بفنه ولكن ليستمتع بشهرة ، تجلب له الوجاهة والصدارة فى مجتمع .. لايعترف بالموهوبين ، ولكن اعترافه كله للاغنياء والموسرين واصحاب المناصب والنفوذ !.

لذلك سنراه يحرص دائما على الظهور فى صورة أولاد الذوات . واذا كان أولاد الذوات هؤلاء يربون الكلاب فسيكون لديه كلاب دائما ومن أغلى نوع . واذا كان فى بيوت الذوات طباخين وخدامين وسفرجية ، فسيحتفظ دائما بعدد منهم فى البيت .. واذا كان الذوات يقيمون المادب والحفلات فسيحرص هو دائما على هذه العادة ، ولو كلفته مالايطيق . واذا كانت

هذه الاشياء كلها تكفل للناس الذين يقتنونها شهوة الاستمتاع فهى بالنسبة لسعيد أبوبكر تحقق له شهوة التشفى من أيام الجوع والضياع ، ولكنه من أجل الاحتفاظ بهذا الاكسسوار ضحى فى أغلب الاحيان بفنه ، وقام بأدوار يتبرأ هو نفسه منها ولو تماسك سعيد أبوبكر فى بداية صعوده ، لو لم ينهش قلبه الخوف من العودة الى الماضى ، ولو اختار ووفق لصار اليوم مضحكا وله شان عظيم ، ولكن سماسرة السينما المصرية راحوا وعلى مدى خمسة عشر عاما يعصرون سعيد أبو بكر فى معصرة السينما الحسرانة حتى جف تماما فألقوا به على الطريق . وعندما أفاق سعيد أبوبكر ، كان الوقت قد فات وكان كشف حسابه لدى الجماهير تحت الصفر ، وكان عليه أن يبدأ من جديد !

• مسكين هذا الفنان العظيم الذى لمع كشهاب فى السماء حين قام بدور البطولة فى البخيل . سيتدحرج بعد ذلك فى أفلام نيازى مصطفى وحلمى رفله ، وعصابة السينما الشهيرة التى تخصصت فى مسخ كل شىء ! ولكنه وقد سقط نهائيا سيذهب بنفسه لكى يطرق أبوابهم طالبا أى دور ، ليس من أجل اشباع هوايته الفنية ، وليس من أجل أن يحتفظ بأسباب الوجاهة التى عشقها كثيرا وسعى اليها على الدوام . وانما لكى يستطيع مواجهة الحياة كما هى ، وليس كما ينبغى أن تكون !

وسيدور سعيد ابوبكر فى دوامة ليس لها نهاية . وستتمزق أعصابه كل ليلة من غدر الاصدقاء ونذالة الاقارب وأفول الحظ الذى لاح له يوما ما ، ولكنه مع ذلك سيصمد وسيواصل الحياة رغم كل شىء . ثم فجأة تسنح له فرصة ذهبية فى المحروسة ، ويستغل الفنان العجوز الفرصة ليثبت للجميع انه لايزال ذلك الفتى القديم العظيم الذى خلق للوقوف على المسرح . ولكنه كالعادة لم يستطع استثمار الفرصة ، فهوى بعدها وراح يتخبط دون هدف معلوم ولكنه عاد من جديد ليطل على الناس من خلال ميكروفون الاذاعة ، وعلى شاشة التليفزيون !

ثم فجأة ٠٠ جاءته الفرصة التى كان يحلم بها دائما ، والتى ربما كانت هى هدف حياته منذ البداية ٠

ها هو الولد المضحك الذى عانى طويلا الاهمال والضياع والاحتقار ايضا ، ها هو يدخل المسرح الكوميدى مديرا ٠ المضحك فى منصب المدير ، ياللهول ٠٠ على راى عمنا الكبير يوسف وهبى ! وفى هذا المنصب اكتشف سعيد أبوبكر انه لم يخلق للمسرح ولكن للمكتب ٠ هنا سيتحول القزم الضئيل الى أسد هصور يصرخ ويصدر الاوامر ويوقع الغرامات على الجميع ! وهو سيحرص بعد ذلك على أن يقدم نفسه للمجتمع ليس كسعيد ابو بكر الفنان ، ولكن كسعيد ابو بكر المدير ٠

ان سعيد أبو بكر هو التمثال الحى لكل مافى هذا المجتمع من متناقضات ٠ انه الصبى الصغير الفقير الى حد الجوع ٠ ولكنه سليل أسرة غنية الى حد التخمة ! وهو فنان وحساس حتى النخاع ٠ ولكنه مدير يجيد السخط والنطر وتخصم

المرتبات ٠ وهو ذكى ولكن ذكاءه سيصطدم بالمستوى الرفيع الذى يحرص على ان يبدو فيه ٠ وحتى الاصدقاء الذين سيحيط نفسه بهم ، لابد وأن يكونوا من طبقة رؤساء مجالس الادارة ٠ سكرتير مصنع الثلج سابقا سيحرص على أن يكون على سطح الهيئة الاجتماعية ٠ وسيكون أسعد الناس كلما حرص أقاربه المديرون على عقد الصلات معه والتقرب اليه ٠ وكان لابد أن يقضى سعيد أبو بكر على سعيد أبو بكر ٠ فقد صنع هو نفسه كل شىء تقريبا لكى يقضى عليه ٠ ولكن فنه العظيم وقف صامدا امام كل الضربات التى تأتيه من داخله ٠

صحيح ان نموه كفنان لايتفق مع حجم مواهبه ، ولكنه كان اسعد حظا من كثيرين ، فلا يزال سعيد أبوبكر رغم السنين الطويلة يحتفظ بمكان فى دنيا المضحكين ٠ ولا يزال لديه القدرة على اضحاكنا كلما واتته فرصة ٠ ولكنه لخيبته الشديدة لايزال يفضل منصب المدير على لقب الفنان ٠ ورغم

انه فى الخامسة والخمسين الآن الا أن الموقف لايزال فى يده ٠ وهو عليه أن يختار من الآن اما أن يصبح سعيد أبوبكر الفنان وأن يظل حتى آخر لحظة من حياته على خشبة المسرح وامام الجماهير ، أويدرج اسمه فى كشف المعاشـــات ، والمطـالبين بالانصاف ٠

ولكنى أعتقد ـ وأرجو الا أكون مخطئا ـ ان الفنان الذى فى داخل سعيد ابو بكر اقوى من الموظف الذى فيه ٠ وسيشده هذا

الفنان حتما الى الأضواء والتصفيق واعجاب الجماهير ٠ لأن سعيد أبو بكر قبل كل شىء وبعد كل شىء فنان كوميدى عظيم ٠

وهو كالكرة الأنبوبة كلما ضربتها فى الأرض كلما ارتفعت الى السماء ، الولد الحزين المريض ، الصايع ، جواب الآفاق، سعيد أبو بكر كان وسيكون وسيبقى علامة عـــلى طريق الضحك العظيم ٠

الصباغ

الصايع

معذرة لأستاذنا الكبير . أستاذ كل الاساتيذ الدكتور طه حسين ٠٠ معذرة لاننا سنستعير من تعبيراته تعبيرا هو أصدق وصف للممثل أبو بكر عزت « فما كان يوما ما من المضحكين ، ولا كان ينبغى له أن يكون من المضحكين » !! ونترك الآن أوصاف وتعبيرات أستاذ كل الاساتيذ ، وندخل فى الموضوع بطريقتنا وباسلوبنا ، وزيتنا فى دقيقنا ، واعمل بخمسة وحاسب البطال !! الممثل أبو بكر عزت ممثل حساس للغاية ، وهو المنافس الوحيد للممثل حسن يوسف ، واذا كان حسن هو الولد الشقى ، فابو بكر عزت هو الولد الظريف اللطيف المحبوب ٠٠ وهكذا بدأ حياته الفنية فى المسرح الحر ، ولكنه انحرف بعد ذلك ، والفضل للعشر مسارح ، ومسرحية كل ساعة ! وللسوق الذى نصبه عبد المنعم مدبولى أيام مسرح التليفزيون ، فاصبح الضحك هو التمثيل ، والممثل الذى لايضحك الجمهور ممثل فاشل ، والرواية التى ليس فيها نكت وقفشات وقافيات ليست رواية ، والمؤلف الذى لايكتب النحلة والدبور ، ومقالب عروس ٠٠ ويا نطره رخى رخى ، الى آخر هذا الكلام الهايف ٠٠ ليس

مؤلفا ولا يحزنون ! وانزلقت قدم أبو بكر عزت ، وصادفه نجاح الموجة ، وهوس المرحلة ٠٠ واذا به واحدا من المضحكين ٠ ولقد حاولت اقناع نفسى بأن أبو بكر عزت ممثل مضحك دون جدوى ٠٠ وخيل الى احيانا أننى حمار من دون جميع البنى آدمين ! غير أن الايام أثبتت أننى لست حمارا ، وأثبتت أيضا أن أبو بكر عزت ليس من المضحكين ! هو نفسه ادرك هذه الحقيقة وأعلن على صفحات جريدة الاخبار أنه ليس مضحكا ولا يعتبر نفسه من المضحكين ٠

ولكن هذا الاعتراف جاء بعد فوات الوقت ، وبعد أن ظل أبو بكر عزت عدة سنوات يقاوح نفسه ويقاوح الجمهور . ويقبل بطولات فى روايات هلسفكيشن ، وركبه الغرور زمنا ما ، فظن نفسه مضحكا ونجم شباك كما المهندس وكما عوض ٠ بل انه حشر نفسه فى سباعيات رمضان المضحكة دون أن يدرى ان هذه الاعمال لم تكن بالنسبة له مضحكة ولكنها مهلكة ٠٠ ولا حول ولا قوة الابالعزيز الجبار ٠ وآه لوانتبه أبو بكرى عزت الى هذه الحقيقة من البداية ، اذن لصار اليوم علما من الاعلام ،

ولكسبت السينما المصرية وجها جديرا بان يحيا لسنوات طوال ومهما أجهدت نفسك فى البحث عن أصول للمضحك أبوبكر عزت فانك لن تصل الى نتيجة باى حال من الاحوال • لانه وان كان ممثلا كبيرا الا أنه كمضحك • لا شىء •• فانت لن تشم فيه رائحة لريحانى . ولا ملامح على الكسار ، ولا صدى أحمد المسيرى • ولا شبح المعلم بحبح ، لانه هو نفسه ــ فى حقل المضحكين ــ مجرد نبت شيطانى بلا تقاوى ولا جذور • انه نتاج مرحلة العك والارتجال واللخبطة • أو المرحلة التى جعلت من سيد بدير مستشارا ومن أحمد نصار نائبا للمستشارين ومن الريجسير قاسم وجدى عضوا فى لجنة القراءة ومؤلفا يشار اليه بالكفوف والاقدام !

ولكن عبثا حاولت تلك الايام أن تصنع نجوما بالعافية وتساقطت كل النجوم الهاوية ، ولم يبق من كل هذا العك الا محمد عوض وعادل امام •• وشلة من العيال الصغار !

وهكذا وقع أبو بكر عزت فى الفخ ويبدو أنه استحل الوقوع فيه ، وبدلا من أن يصبح أبو بكر •• عماد حمدى جديد

الصنايع

•• او شكرى سرحان متطور ، او كمال الشناوى على اكثر فنا •• بدلا من هذا دخل فى حلبة المضحكين دون مسوغات تعيين •• واول شرط للمضحك أن يضحك الناس عليه لحظة وجوده على خشبة المسرح • وهذا الشرط متوفر فى كثيرين من أول فؤاد المهندس الى كامل أنور ، ولكنه غير متوفر فى الاخ أبو بكر عزت • وشرط آخرهام وحيوى ، هو عدم تعمد المضحك اضحاك الناس • تماما مثل العبد لله عندما لا يتعمد كسر اشارات المرور •• ولكن نوبة السرحان التى تنتابنى ، وسوء فرامل حضرة عربة العبد لله ، تجعلنى رغم أنفى أكسر اشارات المرور بينما أنا شديد الرغبة فى الامتثال لها، والانصياع للونها الاحمر الفاتح الذى هو فى حمار البلح النايح الزغلول •

فى رواية مقالب محروس مثلا حاول أبو بكر عزت وقد سنحت له فرصة الاستفراد بالمسرح وبالجمهور . حاول أن يضحك الناس ، وصنع كل شىء وأى شىء ، ولكن أحدا لم يضحك ، على وزن أحدا لم ينجح ــ اللهم الا عند تسجيل

الرواية للتليفزيون حيث يحشر الناس ليلتها بالمجان ، بشرط أن يكركروا بالضحك ع الفاضى وع المليان !

وفى الزوج العاشر ، استعرض نفســـه فى دور الميت المضحك ، وفى دور العاشـــق المضحك ، وفى دور الخائن المضحك . وفى دور ابن البلد المضحك ، ولكن أحدا لم يضحك على الاطلاق . صحيح ان الناس ضحكوا من الاعماق ، ولكن عند ظهور عبد المنعم مدبولى ، ورغم أن دوره كان قصيرا ، الا انه استطاع ان ياكل ابو بكر عزت وأن يلقنه درسا عنوانه : كيف يكون الانسان مضحكا دون ان يسعى لـكى يكون بين المضحكين . ولكن ابو بكر عزت لم يتعظ ولم يفهم . ولايزال

حتى اللحظة يضع نفسه فى قائمه المضحكين . ولكنه أبـدا لن يكون وسيظل .. سيظل فى دنيا المضـحكين لا هو فؤاد المهندس ولا هو حتى كامل أنور ، ولكنه سيظل بين بين ، وهى نتيجة سيئة ، لانه ليس بين المضحكين .. بين ! فاما أن تكون مضحكا أو تكون لاشىء ! ومع ذلك فلا تزال الفرصة سانحة أمام أبو بكر عزت لكى ينجو بنفسه من هذا المصير ، ولو عاد الى الطريق الذى كان ينبغى أن يسلكه من البداية ، فأنا واثق انه سيحقق نجاحا لا مزيد عليه . لانه - كممثـل - طاقة لا حد لها ، وموهبة جديرة بالنجاح والتقدير !

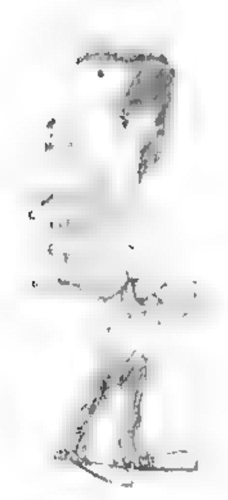

كلاكس

وبعض الناس بينها وبين الجمهور حجاب ، فاذا اشتغل هذا البعض بالفن كانت خيبته عريضه ، ووكسته شديدة ، ولا حول ولا قوة الا بالله . لان هؤلاء الناس يقفون عندئذ على السلم . فلا اللى فوق نظروها ولا اللى تحت شاهدوها . تماما مثل اتفضل شاى ، لا متشكر . مع الاعتذار لعمر الجيزاوى عليه الأمان ! من هؤلاء فى الممثلات مثلا ليلى طاهر .. فلا هى ممثلة شباك ولا هى نجمة فن ، ولا هى كبيرة ولا هى صغيرة ، واسمها نميرة الى ! آخر هذا الكلام !

من هؤلاء أيضا اميرة أمير ، ونادية النقراشى وزبيدة ثروت وآخرون . وفى الممثلين الرجال عشرات من هذا النوع ،ولكن ابرز مثل على هؤلاء جميعا هو بدر الدين جمجوم ، وهو صار مضحكا لانه هو نفسه قرر هذا . وهو لايريد أن يكونمضحكا فى زمرة مضحكين ، ولكن رأسه برأس فؤاد المهندس ومحمد عوض وأمين الهنيدى وهو شىء يورث الفقر ، تماما كما أقرر

فجأة أن اكون بين الملاكمين ، ومش بس كده ؟ وإن يكون عضل بعضل كلاى وليستون وباترسون وطيب الذكر عبده كبريت !

انها مأساة بلا شك لان كثيرا من أولاد آدم يقعون فى هذا المطب ، حيث تكون مواهبهم اقل بكثير من أمنياتهم وحيثيكون طموحهم أكبر من قدراتهم ، وأنا شخصيا كنت أتمنى انأكون لاعب كرة ولا بيليه ، ومع التواضعالشديد ولا على أبوجريشة وستظل هذه الامنية تراودنى حتى آخر العمر . وستظل تعذبنى لأنى لم أستطع تحقيقهاولن استطيع ذلك ماحييت . لكن تصور ، لو أننى انهبلت فى عقلى ، وانخبطت فى راسى وقلعت بلبوص ملط ، وارتديت فانلة الاسماعيلى مثلا ، ونزلتاجرى فى الملعب لاخطف بطولة افريقيا من كوتوكو ومن انجلبرت !

وبدر الدين جمجوم فى هذا الموقف بالضبط ، فلا هو مضحك ولا هو يحزنون ، وقد تصلح يحزنون صفة للجمهور الذى يتفرج على جمجوم . ولكن جمجوم نفسه سيظل مبسوطا ومنشرح الصدر وسعيدا غاية السعادة ومفتونا بنفسه الىآخر حد ! وعندما يصل انسان منسوء التقدير ومن سوء الفهم الى هذا المدى البعيد فانت لاتستطيع ان تنقده ولا تستطيع أن ترشده ، ويكفيه ماهو فيه ، أو هو فيه مايكفيه . ولكنانصافا للواقع أقول ان بدر الدين جمجوم ذكى ، وذكاؤه من النوع الفهلوى ، وفهلوتهجعلته يدرك ان سر شهرة المهندسوالهنيدى وعوض ان لهم اصواتا مميزة ، ولما كان هو فاقد هذه الميزة والحمد لله . فقد اخترع لنفسه صوتا غير صوته ، وعلق فى حنجرته كلاكسا يستخدمه على المسرح . ولكنه نسى انالانسان

عندما يتحول الى كلاكس فانه يفقد نفسه • لان الصــوت هــو بصمات أصابع روح الانسان ،، ،وروح الانسان لايمكن صنعها ولا يمكن تركيبها • وانما هى تاتى مركبة جاهزة السطه بامر ربى ! •

ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى • صدق الله العظيم •

ثم هو ايضا قاده ذكاؤه بعد ذلك الى اكتشاف ان هــؤلاء المضحكين العظام اصبحوا عظاما لانهم يقومون بأدوار البطولة، ولان لهم فرقا خاصة • ولذلك عمل فرقة خاصة ، وقام بأدوار البطولة ، ولكنه لم يتقدم خطوة واحدة الى الأمام • ولكنه بقى

مكانه لا هو مضحك ولا هو يحزنون ، وانما الناس فقط هــم الذين يحزنون !

وصحيح ان بعض الناس تضحك من جمجوم ، وبعضــهم يضحك عليه ، أنا لاأنكرهذا ، ولكنهم يفعلون ذلك وفقاللقاعدة المشهورة ،، الشئ اذا زاد عن حده انقلب الى ضده • ولقد بدأ جمجوم حياته الفنية وفى نيته ان يكون مضــحكا ، ولمــا كانت الاعمال فى دنيا الفن ليستبالنيات ، فقد انقلب جمجوم الى مبكى ، فلما زاد فى الابكاء ، انقلب الى مضحك من جديد • وفي دنيا المضحكين ، كما فى دنيا الشحاتين • كما فى دنيا الحدادين ، ستجد ناس هذه صنعتهم ، وناس تحشر نفسها ، احيانا بالذراع ، واحيانا بالكلاكس !

صرصور

ولولا تحفة يوسف أدريس ، الفرافير ، لما كان له الآن وجود . ورغم أنه ظهر قبل الفرافير فى عدة مسرحيات وفى عدة برامج ، الا أن حضرات السادة المخرجين فى كل مجال حاصروه داخل قالب واحد لا يتغير ، فهو «قهوجي فكيك وهو نشال منحرف » وهو ولد عر هايف ، وهو لهيافته لا يظهر على المسرح الا لدقائق .. وعن عدد أصابع اليد لا تزيد !

ثم جاءت الفرافير لتكشف عن طاقة هائلة داخل هذا الكيان الهزيل ، وأصبح عبد السلام محمد بفضل يوسف ادريس وكرم مطاوع ، واحدا من نجوم الكوميديا اللامعين وانفتحت طاقة ليلة القدر أمام الولد الهزيل ، فسرح فى برامج الاذاعه والتليفزيون ، وحقق له السرحان شهرة عريضة ولكنه لم يحقق له المكانة التى كان يحلم بها ، عندما أسدلت الستارة ليلة الافتتاح على مسرحية الفرافير . فقد عاد الولد الهزيل مرة آخرى ليدور فى دوامة القهوجى والسنيد والولد الفكيك ، ووقع الولد الهزيل أسير ازمة نفسيه حادة ، فهو مشهور ، اذن فهو مغرور ! وهو لم يحقق شيئا له قيمة ،

اذن فهو ضائع وبائس وممرور ! وسيصاب الولد الهزيل بنوبات من السرحان ، وبحالة من الكآبة تعاوده كل ليلة .. وستنعكس هذه الحالة على تصرفاته فى الحياة ، ولكنه ورغم كل شىء سيظل مسحوقا تحت فكرة الكماشة التى وضعته تحتها الاقدار ، فهو ممثل موظف فى المسرح القومى . وهو فنان حتى النخاع ! فهو أعظم من يرتجل على خشبة المسرح، ولكن ارتجاله مقتبس من صميم النص . وهو صياد بارع يعرف كيف يستخرج من الموقف نكتة مناسبة تستدر الضحك وتستدر الدمع . وهو نشال يخطف من زملائه ماغاب عنهم أن يستخدموه ، وهو مواظب ، شديد الاحترام للنص ، شديد الرغبة فى الابتكار ، شديد السعى للاضافة، شديد الاحترام للجمهور . وهى كلها متناقضات ، استطاع الولد الهزيل أن يوفق بينها ، أو يلفق بينها ان صح هذا التعبير !

ولكن عبد السلام محمد ، أو الفرفور ، سيظل فى مكانه هذا مهما طال به الزمان ، وان مات الآن فلن يشعر به أحد، ان مأساته منقوشة فى لوح القدر منذ الأزل ، وهى ليست

مأساته بقدر ماهى مأساة أصحاب العقول الفنية ، وأصحاب النفوذ فى بورصة الفنون التجارية ! انها مأساة الكتاب الذين لم يلتفتوا الى أن الحياة زاخرة بقصص لا حصر لها ، أبطالها ناس مثل عبد السلام ·· ناس فى ضآلة السيجارة وفى رقة حبل الغسيل ، وفى وحاشة عبد السلام محمد ! وهى مأساة حضرات السادة المخرجين الذين يتصورون أن العاشق لابد وأن يكون فى جمال ولى عهد انجلترا ، وفى قوة سباع الغاب ، وفى كمال جسم محمد على كلاى · يالـه من سخف ليس له مثيل ، هذا الاصرار الغبى على أن يكون الولد بطل قصة الحب ، له شنب أصفر ، وعيون أزرق من لون السماء فى يوم من أيام الربيع ، وأن يكون شعره فى كمال وجمال شعر المرحوم كنيدى · كأن النحيف لا يحب ، كأن السفروت ليس له قلب ، كأن الاصلع ـ بسبب الحب ـ لم يسهر الليالى الطوال يتكلم وحده كالمجنون ، ويتالم وحده كضبع مجروح فى غابة كثيفة لايتسلل اليها شعاع شمس !

ولذلك ، ومن أجل هذه الخيبة العريضة التى هى أعرض من كرات منيل شيحاً ، سيضيع عشرات الممثلين النوابغ ، وسيطفو على السطح كمال الشناوى وليس فيه الا شعر كشعر الديك الرومى ، وشارب على طريقة المرحوم دوجلاس ، من أجل هذا أيضا سيظل عبد السلام محمد مكانه ، غير أنه يستطيع الافلات من كماشة الحصار وفى هذا الجو الفنى نفسه ، لو استطاع الافلات من مصيدة المسرح القومى ، ولو كون مع السمين محمد رضا ثنائيا وصار له تابعا ، مثل الشهير قفة ! انهما ضدان يخرج منهما ضحك لا نهاية له ولا مزيد عليه · انهما ·· الفيل والذبابة ·· والعبيط واللبيب ، والقوة بلا عقل ، والعقل بلا قوة ، وحتى من الناحيه التجارية ، يستطيع هذا الثنائى أن يحقق ربحا

طائلا ، ولكن حتى حضرات السادة الهائفين فى دنيا السينما والمسرح ، لم يعد لديهم الوقت للابتكار فى دنيا الهيافة ! لان اللى تعرفه أحسن م اللى ماتعرفوش !

ومنذ ثلاثين عاما كان فى الحياة الفنية نجوم مثل عبد السلام محمد ، وكان لهم وجود فى مسرح الريحانى · محمد كمال المصرى (شرفنطح) والمرحوم حسن كامل ·

ولكن مضى ذلك الزمان الذى كانت تحترم فيه المواهب حتى ولو كان صاحبها فى حجم قلة ، أو فى هيافة غصن بان ! ولكن ·· هل الحركة الفنيه وحدها هى المسئوله عن وضع عبد السلام محمد ؟ وهل عبد السلام محمد برىء براءة الذئب من دم ابن يعقوب عن مصيره ومآله ؟

الجواب ·· لا · فهو أيضا مسئول ، وهى مسئولية تشمل جيل الشبان جميعا من المضحكين · فهم اعتادوا حياة معينة ، ومن أجل هذه الحياة المعينة فهم يسعون الى كسب أرزاق معينة ، ومن أجل الحصول على هذه الأرزاق المعينة ، سيقبلون أى دور فى أى رواية وأى عرض ، لانهم مدعوون الى سهرة ، ومكلفون بمسئوليات ليس لها علاقة بالفن ، وان كان لها علاقة بمصانع الويسكى فى اسكتلندا ومصانع أدوات التجميل فى باريس !

هم ينزلقون فى البداية بدعوى أنهم فى انتظار فرصة ، ثم ينزلقون بعد ذلك لانهم لا يستطيعون الا الانزلاق !

ثم هم يجدون أنفسهم فى النهايه فى قاع البئر ، فيلعنون الحظ ويلعنون الاقدار · ولو أحسنوا للعنوا أنفسهم !

وعبد السلام محمد مسئول عن الوضع الذى انتهى اليه · لاننى حاولت ذات مرة أن ألحقه بفريق فؤاد المهندس وكنت على ثقة من أن فريق المهندس سيكسب من وراء عبد السلام ،

وكنت على ثقة اكبر من أن عبد السلام سيكسب أكثر من وراء انضمامه الى فريق المهندس .. ووافق المهندس ، ووافق عبد السلام ، ولكن عاد وتردد وسر تردده خوفه على الثلاثين جنيها المرتب الثابت فى المسرح القومى ، فهو فى أعماقه موظف ، وهو وان كان ابن بلد المزاج الا أنه فلاح الطبع ، وان فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه . وهو لا يستطيع أن يغامر من أجل شىء غير مضمون العواقب ، ولكنه يستطيع المغامرة وهو مسنود بابوطيفة وعامر الجيب بالمرتب . ويا ميت خسارة على عبد السلام محمد ، مثل قارب صيد سليم ، فقد الملاح ، واستسلم للامواج والرياح ، تتقاذفه ذات الشمال وذات اليمين ، يميل ويتأرجح ، ولكنه لا يغرق ولا يصل الى بر الامان .. وهو نازل طالع ، من دور فى الاذاعة ، الى دور فى التليفزيون ، الى انتظار طويل فى المسرح القومى ، ولو حركة تنسيق فى هيئة المسرح ، لنقلت عبد السلام محمد

بجرة قلم من القومى الى الكوميدى ! ولكن ماذا نقول للروتين والارشيف والباشكاتب اذا تدخلوا فى الفن ؟ وماذا نقول لسعادة المدير وسعادة الوكيل إذا أصبحوا مسئولين عن الحركة المسرحية ؟ وكيف استغنت الهيئة عن عادل امام وفصلته من المسرح الكوميدى ؟وكيف تركت ماهر تيخا يتفرغ لعلاج الحيوانات فى السيرك القومى وأبعدته عن خشبة المسرح ؟

ولكن .. لقد كان الحديث عن عبد السلام محمد ، فما الذى جرنا الى الحديث عن جيل العيال المضحكين ؟ لا بأس ، ولابأس أيضا من العودة الى عبد السلام محمد . فرفور المسرح القومى ، الذى هو رغم بؤسه ، ورغم أساه الفنان المصرى الذى يبحث عن مؤلف ، ويبحث عن مخرج ويبحث عن قلب شجاع يقتحم به دنيا الفن دون خوف من المجهول ، ودون قلق على ضياع المرتب !

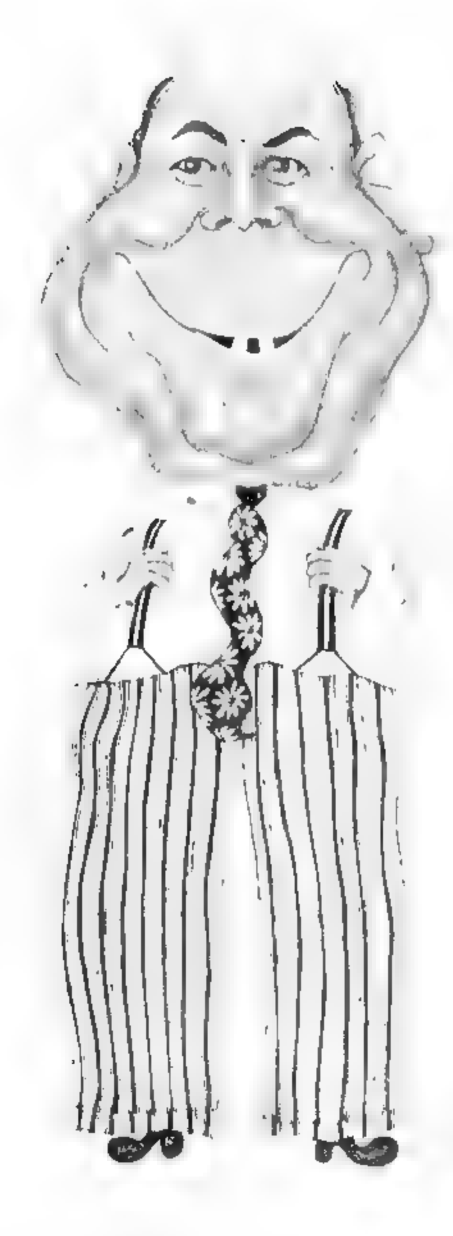

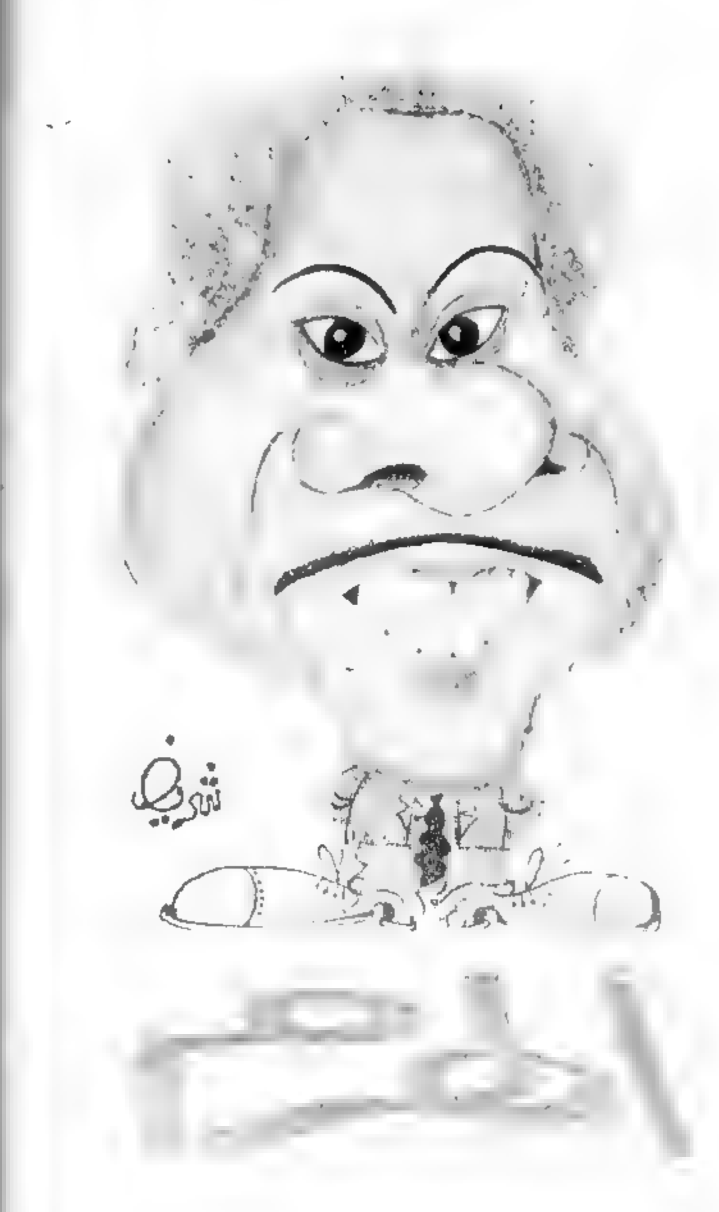
شريف

اذا كان نجيب الريحاني قد نجح في اضحاك الناس حتى سقط ذات مساء على خشبة المسرح قتيلا ،فقد نجح حسن فايق هو الآخر في اضحاك الناس حتى سقط ذات مساء على خشبة المسرح مريضا ، ولايزال مريضا حتى الآن .. عافاه الله . ورغم أنه ظل يؤدي شخصية واحدة متكررة الا أن أحدا منا لم يمل رؤيته ، بل أنه نجح أيضا في أن يضحكنا من الأعماق على هذه الشخصية الهايفة المتكبرة الممتلئة زهوا وادعاء وغطرسة ونرفزة ، الشخصية المزدوجة التي تقول كلاما ، وتسلك سلوكا .. لا يتفقان !! واستحدث حسن لنفسه أسلوبا في الحديث لم يقلد فيه أحدا ، ولا أظن احدا يستطيع تقليده . وساعده تكوينه الجسماني على ابراز هذه الشخصية وتجسيد عيوبها وادانتها في كل الاحوال .

فهو باشا قفه ، وهو أب حمش ، وهو زوج غيور ، وهو راسمالي هزء لا يملك من المواهب الا المال !

وكانما أفادته مهنته – كمنلوجست – في مهنته الجديدة باستعمال الاشارة بعد القول . فقد كان أكثر مضحكينا استخداما لحركة يديه وراسه واجزاء جسمه كله . كما كانت لديه قدرة لا حد لها على التحكم في طبقات صوته وتلوين نغمات هذا الصوت لكي تكتمل الصورة النهائية لهذا المضحك العظيم . ولا أظن أن أحدا من المضحكين الاحياء اليوم يستطيع

أن يسد الفراغ الذي تركه حسن فايق في حياتنا الفنية ؟ واعتقد – مخلصا – أن حسن فايق لن يتكرر مرة أخرى مهما طال الزمان .

واذا كان حسن لم يلمع يوما ما كبطل ، ولم يستطع أن يكون شمسا تدور حوله بعض الكواكب فليس الذنب ذنبه . ولكنهم حضرات السادة الاجاهل الذين تصدروا الحركه الفنية وتحكموا في مصيرها عبر كل الازمان !

ولو كان حسن فايق سليما ومعافى في الوقت الحاضر لاستطاع أن يستحدث لونا جديدا من الفن لا أظن أننا عرفناه قبل الآن . لو كان حسن فايق سليما معافى الآن لاستطاع ان ينشىء مسرح النجم الواحد . حيث يستطيع رجل واحد ان يقدم عرضا شائقا للجمهور ، وأن يحل بمفرده محل فرقة كاملة النجوم .

وهو قادر بخفة دمه وتعدد مواهبه على أن يقدم لنا هذا اللون الفريد . ولو كان في مسرح التليفزيون أيام الهوجة عقول تفكر لاستطاعت أن تكون من حسن فايق وماري منيب وحدهما فرقة كاملة . ولكن الاهتمام وقتها للاسف الشديد كان للكم وليس للكيف . حتى الرواية الوحيدة التي ظهرت فيها ماري منيب – ملكة الاغراء – سقطت سقوطا فاحشا بسبب سوء التاليف وسلق الاخراج ، وبسبب سياسة مشي ايدك خلينا نخلص !!

سبب آخر جعلنا لانستغل طاقه حسن فايق العظيمة ،وهو نظرة المنتجين الى هذا اللون من الفن . فقد كان حسن فايق مضطرا الى العمل في عدة افلام في وقت واحد لكي يواجه مطالبه في الحياة كنجم وكرجل عجوز وكفنان ! لان اجره ظل اقل بكثير من اقل آجر تتقاضاه اي امراة غندورة تفشخ بقها عن

بعض الاغنيات ، أو تهز وسطها عن بعض الرقصات . وظـل
في عين هؤلاء مجرد كومبارس يعمل احيانا بالقطعة ، وأحيانا
بالمقاولة ودائما ينال الأجر المتفق عليه بالكامل !! انه أمـر
يدعونا جميعا الى التفكير في حياتنا الفنية . ان حياتنا الفنية
مقلوبة لأن الاوضاع فيها مقلوبة ، والقيم فيها ضـائعة ،
والموازين فيها مهزوزة ، ولأن ملوك هذه الصناعة اما جهلاء
واما أصحاب نوايا سيئة !! ورجل مثل حسن فايق كان يستطيع
اضحاك طوب الارض . كيف اهملناه كل هـذه السـنين
الطويلة ؟ كيف مر في حياتنا دون أن يصنع عملا فنيا ذا قيمة
حقيقية ؟ كيف ظل على الهامش في الافلام والمسرحيات ؟ بينما
الثالوث الشهير سيد بدير وعمر الجيزاوي ومحمد التابعي
قاموا ببطولة أفلام تافهة ؟!

ونعود الى حسن فايق . الموهبة الفذة العظيمة التي تبددت
في مئات الاعمال الصغيرة . كيف استطاع مواصلة الرحلة رغم
الاهمال والانكار والظروف السيئة ؟ وعلى وجه التأكيد أقول
ان حسن فايق كان محترفا وهاويا في الوقت نفسه . وانـه
كان يحب هذه المهنة ويعشقها ، ولذلك لم يهتم ابدا بان يقيم
لنفسه عمارة ، ولم يحاول اقتناء اسطول من عربات التاكسي ،
ولم يدخر شيئا لانه كان يمارس فنه ويحيا حياته بفن . وهذا
النوع من الفنانين ، هم روح الحياة الفنية ، وهم لسوء الحظ
قلة في هذا الجيل . فانا أعرف مضحكين صغارا لم يمض عليهم
سوى سنوات قليلة ولكنهم استطاعوا امتلاك ارض في المنوفية ،
واعرف مضحكين كبارا جدا لايزالون يحتفظون بوظائفهم الحكومية !

سلام على الرجل الفنان الانسان حسن فايق في مرضـه
الطويل ، وتمنيات من الاعماق بالشفاء القريب ، وعود حميد
الى ساحة الفن العظيم .

ومن اقدر واقدم مضـحك في مصر ، الى أحدث واقصر
المضحكين .. الى ابراهيم سعفان . وابراهيم وان كان احدث
مضحك الا انه من اكثر الذين ظهروا اخيرا استعدادا لهـذه
المهنة ، واكثرهم استعدادا للتطور والتغيير . وابراهيم سعفان
مضحك بكل صفاته ومقوماته ، قامته القصيرة ، واكتـافه
وملامح وجهه التي تشبه ملامح وجه رجل عبيط !! وهو فوق
كونه مضحكا فهو أيضا ممثل ناضج يحسن التعبير والاندماج
في الدور الذي يؤديه . وهو يجيد كل الاساليب المؤدية الى
الاضحاك ، من أداء دور مرسوم الى الشقلبة والتصرف بحرية
لاغتصاب الضحك من أفواه المتفرجين . ولكن عيبه الوحيـد
هو حرصه الشـديد على تأمين مستقبله . وتكالبه الشديد على
العمل ووجوده المستمر في ردهات الاذاعـة والتليفـزيون
واعتقد أنه يستطيع الآن ان يتفرغ لتنمية موهبته ويستطيع
ان يؤمن مستقبله ليس بجمع الفلوس ولكن بتجويد عمله في
فرقة الريحاني التي استقر فيها اخيرا . وهو ان فعل هـذا
فسيصبح بعد أعوام واحدا من مضحكينا الكبار وله اسـلوب
خاص به في الاضحاك . ولكن ابراهيم سعفان سـيضيع ان
عاد مرة أخرى الى دوامة العمل المرهق وقبـول أي دور وكل
دور ، والاشتراك في كل رواية واي رواية . وأفضـل دور
يستطيع ان يقدمه ابراهيم سعفان ، هو دور الافندي المتخلف
المحتفظ بطربوشه على رأسه باعتباره رمز الوطنية والقومية!
الحمش للغاية ليس نتيجة موقف اخلاقي ولكن نتيجة عقـد
نفسية . المستوظف المستعلي على من هم دونه المنسحق امام من
هم أعلى منه . المتوسط خدام الطبقة الكبيرة جلاد الطبقة
الدنيا . في هذا الاطار يستطيع ابراهيم سعفان ان يقـدم
نموذجا بشريا هو قادر على تقديمه ، ويستطيع من خـلاله
ان يحتل مكانه في الصفوف الامامية .. وسر لمعان ابراهيم

سمعان منذ أول لحظة ظهر فيها هو التصاقه الشديد ببيئته الريفية ، واندماجه السريع ببيئته الجديدة فى المدينة .
نموذج الفلاح المتعلم الذى هجر القرية الى دنيا جديدة . لم يغرق تماما فى طين القرية ولم يستطع تكامله فى نهر المدينة . ولكنه ظل معلقا بين الاثنين ، نصفه فى نهر المدينة . وعلى وجهه دائما علامات الانبهار لما هو فيه وعلامات الالم لما كان عليه ! وفى نفسه تردد من الحياة التى تموج امام عينيه ، وحنين شديد للحياة التى تركها خلف ظهره . هذا الانبهار والالم والتردد والحنين هى أهم مميزات ابراهيم سعفان ، وهى عدة شغله فى عالم الفن الكبير .

وهو لذلك يفشل ان ادى دورا مسطحا بلا أعماق ولاتعقيد ولا ماساة . انه مضحك مختلف .. ضحكه يخرج من دموعه ، وعظمته تنبثق من انسحاقه . وكبرياؤه نابع من ذله الشديد ؟

وابراهيم سعفان يصبح موهبة لو وجد مخرجا يفهم أعماقه ومجرد مهرج لو انساق فى تيار التهريج والضحك من أجل الفرفشة والانبساط والترويح .

فهو مثلا مدرس نحو يرى الحياة فى الفاعل والمفعول . وكل قيم الحياة ومثلها العليا تكمن فى ان يرفع الفاعل وينصب المفعول . وتنهد كل القيم وتنهار كل المبادىء اذا

انقلبت الاحوال ورفع المفعول ونصب الفاعل . والدنيا بخير مادام النحو كما جاء على لسان سيبويه ، وما دامت كان واخواتها تؤدى عملها المشروع .. وهو سعيد لأن يعتقد فى قرارة نفسه انه يؤدى عملا فى الحياة أكثر تأثيرا من علماء الفضاء ، وأكثر فائدة من مكتشف البنسلين ثم يقع فى النهاية أسير ضائقة مالية ، ثم تمتد له يد رجل ثرى وكريم ، ثم يكتشف فى النهاية ان الرجل الكريم ، ليس فقط جاهلا بالصرف والنحو والبلاغة والمنطق والبيان والتبيين ، ولكنه أيضا جاهل بالقراءة والكتابة ، انه لا يعرف الفرق بين فاعل النحو وفاعل الخير وفاعل الزلط والرمل عند مقاولى البياض والبناء والتعمير ! انه الرجل المصطدم بالحياة نسوء فهم هو سببه . لعدم ادراك هو مصدره ! انه ابراهيم سعفان المضحك الذى يضحكنا لبلاهته وبلادته وقصوره وتخلفه . واعتزازه أيضا لان كل هذه الصفات فيه .. ومهما

من أمر ابراهيم سعفان فى المستقبل فهو يثبت شيئا هاما وحيويا أيضا . ان بلادنا لا تعقم أبدا وأنها تلد الموهوبين دائما . وانهم يولدون أحيانا بالتربية والتخطيط . وأحيانا يخرجون كالنبات الشيطانى بلا موعد وبدون سبب وفى ارض لم تمهدها احد بالرعاية والتهذيب .

الظريف

خفة الدم موهبة تمنحها لك السماء أو تسلبها منك لحظة الميلاد ، وهى شىء لايمكن اكتسابه ولا يمكن تطويره ، ولا علاقة لها بالثقافة ولا بالفكاكة ، ولكنها جرثومة تجرى فى الدم وسعيد الحظ من يولد بها ، ويصبح أسعد لو ادركته بعدذلك حرفة التمثيل !

وحسن مصطفى واحد من هؤلاء السعداء الذين ولدوا ودمهم أخف من الريشة ، وهو أسعد حظا لانه اشتغل بعد ذلك بالتمثيل • ولذلك ستفطس الناس عليه من الضحك لحظة رؤيته ، وستفطس أكثر كلما اندمج فى الدور . انه المضحك الذى يتمتع بمقاييس المضحكين ، وهو الظريف الشربات الذى لن تشبع منه الجماهير •واصدقوصف ينطبق عليه انه الرجل القفة ، انه المطاوع المهاود المصدق لكل شىء واى شىء ، وهو والحمد لله يتمتع بعبط لا مزيد عليه ! ولكن عبطه يختلف عن عبط محمد رضا • لان محمد رضا عبيط ومقاوح عبيطوناصح عبيط وعارف كل شىء ! ولكن حسن مصطفى عبيط وفرحان، عبيط ومبسوط ، عبيط ويسأل الله المزيد ! وهو والحمد لله عريض كالبغل ، وطويل كالنخل ، وهى عدة مظبوطه يعرف

حسن مصطفى كيف يستغلها علىخير وجه•وهواحيانا اطرش واحيانا أعمش ، واحيانا أخنف ،ولكنه دائما عبيط ! وسترى حسن مصطفى دائما فى دورة التقليدىدون أن تمل • لانه لايكرر ولا يقلد نفسه ، بل هو قادر دائما على اضافة حركة جديدة تجعله جديدا أمام الناس وهو دائما وحتى فى اتفه الادوار سيجد لازمة تضحك من الاعماق . كحة ، تفة ، نظرة • مهمة اشارة • المهم انه سيجد شيئا وانك ستضحك على الدوام ، وياميت خسارة على حسن مصطفى ، لو وجد دورا يلائمه ليبرز الى المقدمة ، ولكن سوء حظه أوقعه فى براثنفرقة الفنانين المتحدين ، حيث يكون التركيز كله على النجوم الكبار وحيث يتعين على نجوم الوسط أن يبحثوا لانفسهم عن موضع لقدم فى الزفة !

ولاازعم – رغم حبى لحسن مصطفى – انه يستطيع أن يحل محل فؤاد المنهدس مثلا أو أمين الهنيدى • فهذا العمل ليسفى طاقة حسن مصطفى وليس فى طاقة اى مؤلف . وخطىء حسن مصطفى كثيرالو تطلعالى مثلهذا الدور • والسبب ان حسن مصطفى مضحك عظيم جدا •• ولكن فى حدود وهو لايقل عن فؤاد المهندس أو الهنيدى فى شىء ، ولكن حمولته أقل ، واذا كان فؤاد المهندس عربية شيفورليه موديل ٧ ، فحسن مصطفى عربية فولكس فاجن موديل ٧٠ ، صحيحان السيارتين جديدتان وآخر موديل •• وموتور كل منهما جاهز ولنج وعال العال ، ولكن من الظلم أن يدخل الاثنان فى سباق !

بمعنى آخر •• لنفرض ان المهندس هو بطل العالم فى الملاكمة وزن الثقيل ، فان حسن مصطفى هو بطل العالم فى الملاكمة وزن الريشة • كلاهما بطل العالم ولكن هذا وزن ، وهذا وزن آخر • ومن الظلم أن يتقابل الاثنان فى مباراة !

ولكن الذى أريد ان اقوله أن حسن مصطفى لم يعثر على دور مناسب بعد • وان امكانياته أغنى بكثير مما ظهر منها حتى الآن • وهو منجم لم يصل العمال الى أعماقه ، وبئر بترول لم تستغل الا الطبقة الاولى منه • وهو كتاب لم تقرأ الا بعض صفحاته ! ولكنى أخاف على حسن مصطفى من الخوف ، فهو دائما خائف ومذعور من البطالة •• وهو لذلك يقبل أى دور وكل دور فى سبيل أن يبقى شغالا كالطاحونة • وفى السينما لم يعثر على نفسه بعد لانه جالس دائمــا الى جوار التليفون فى انتظار الاوردر •

ويا حبذا لو اهتم حسن بنفسه ولو اهتم المؤلفــون به • وعندئذ سنكسب نجما فى الكوميديا ليس له نظـير فى لونه ، الرجل القفه البسيط العبيط ، المعتمد دائما على حظه ، المتوكل دائما على ربه •• الخالق الناطق كما المعلم بحبح !

ولعل حسن مصطفى هو أقرب الناس الى أمين الهنيدى •• لانك فيه ستشم رائحة مصر ، لانه مضـــحك مصرى صرف ، وليس بين الخواجات مضحك له نفس المذاق ، ولكن ياميت

خسارة لان حسن مصطفى ولد خفيف الدم وقصير النفس أيضا ولعلها احدى ميزاته انه لم يحاول أن يصطنع نفســا طويلا لنفسه ، ولو فعل لاصبح فى رذالة بدر الدين جمجوم • ولعل حسن مصطفى أدرك هذا العيب فيه فحدد نفسه • وبذلك صار أعظم مضحك فى أدوار البطولة الثانية • ورغم انه لم يمارس هذه البطولة حتى الآن لعيب فى التأليف وليس فى نفسه • الا انه يستطيع أن يصل الى هذه المكانة وليس له منافس بين المضحكين اليوم الا ولد سفروت وصغير وضـــئيل ومنوفى ، واهبل ، ولد اسمه ابراهيم سعفان !

ولكن حسن مصطفى سيظل هو أخف دم بين المضـــحكين جميعا ، وسيظل منفردا بأسلوب التعابط بغشم ، والتعابط بهبل ، والتعابط بعبط • حتى أن الدارسين لدنيا المضحكين فى المستقبل • سيظنون أن التمثيل لم يكن بين مواهب حسن مصطفى وانما كان العبط هو موهبته الوحيدة ، وســـيقول مؤرخو حركة الضحك فى المستقبل ، ان بين المضحكين كان هناك عبطاء كثيرون ، ولكن أعبطهم كان حسن مصطفى •

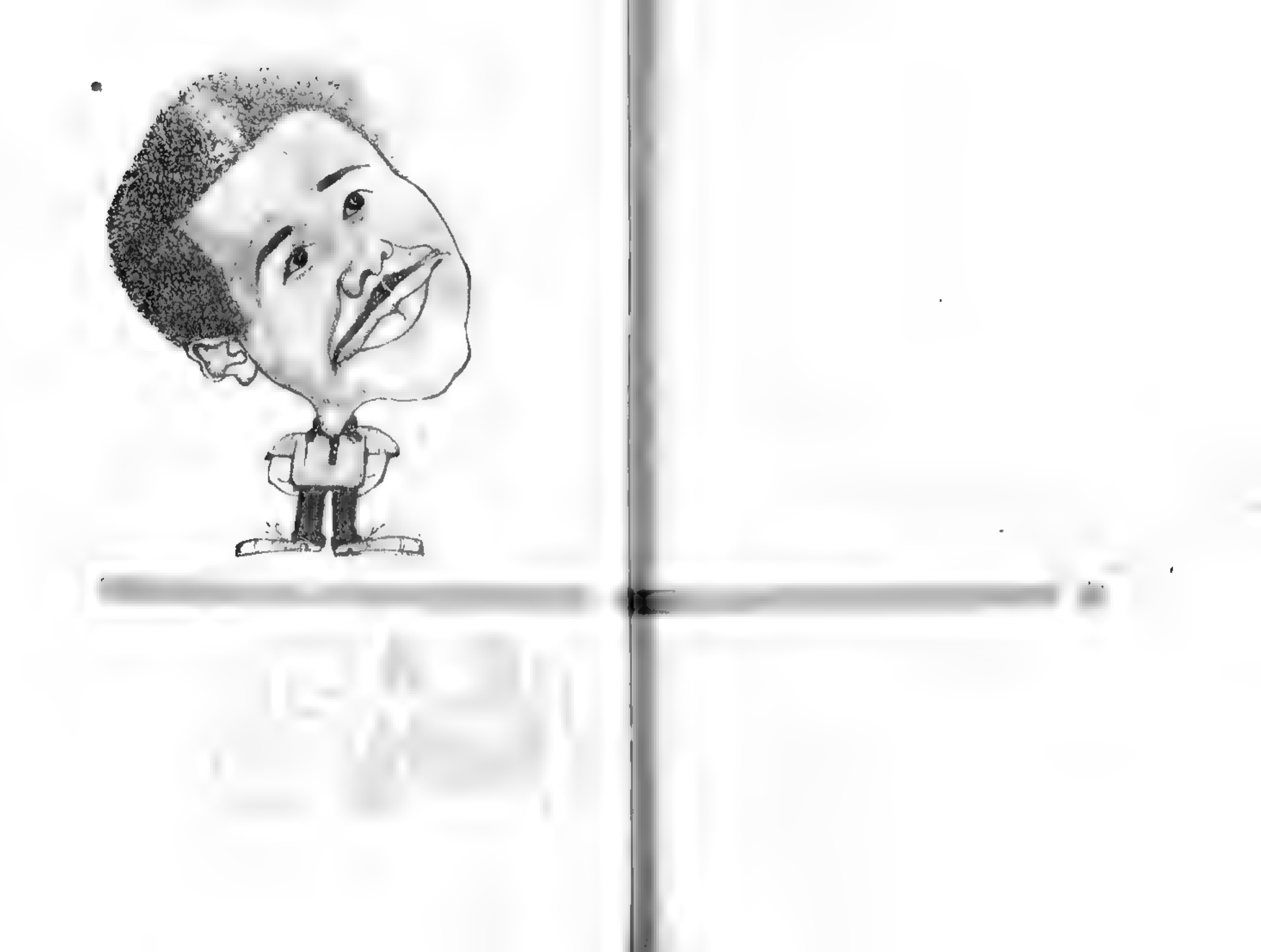

وعبد الرحمن أبو زهرة مضحك هو الآخر ٠٠ ولكنه مضحك خفيف ٠ أى انه مضحك اذا دخل فى الموقف المضحك ، أما اذا افتعل الضحك فلن يضحك عليه أحد ، والاكيد أنهم سيضحكون عليه ٠ وهو فى هذا على عكس المضحكين الكبار لن يستطيع أن يضحكك بحركة أو بكلمة ٠ أن أمين الهنيدى مثلا يستطيع أن يضحكك بمنظره ، بالجاكتة الطويلة الواسعة المهرولة والبنطلون النازل على الجزمة ، والكرافتة التى كان أصلها حبل غسيل ٠ وهو يستطيع أن يضحكك بكلمة يرددها عشرات المرات دون أن تتوقف عن الضحك لحظة ، مثل كلمة حظابطظ نوبتشى ! الضحك عن هذا الطريق ليس وسيلة أبو زهرة وليس فى طبعه ، لان هيئته هيئة شاب رياضى ، فلا هو مكعبر ولا هو مكعور ٠ وحديثه ايضا حديث الرجل العادى ٠ فلا فى صوته بحة ولا فى أنفه خنفه ٠٠ ولا هو من أصحاب طريقة تركيب الكلاكسات فى الحناجر والافواه ٠ ولذلك يتعين على المضحك أبو زهرة — دون المضحكين جميعا — ان يختار الدور الذى يؤديه ٠ وأن يقرأ الرواية التى سيشترك فيها ٠ لانه ليس رجل أى دور وليس مضحك أى رواية ٠٠ ولذلك ايضا فشل عبد الرحمن أبوزهرة فى روايات كثيرة ولمع نجمه فى زهرة الصبار ٠ لانه فى الرواية الاخيرة ظل يخرج من موقف مضحك ليدخل فى موقف مضحك حتى مات الناس من الضحك ، ولان دوره كان طبيعيا ، ولانه لم يحاول افتعال اى ضحك ، فهو طبيب شاب وناجح ، وهو رجل محترم ولكنه كذاب ، وكذبه يوقعه فى مطبات ، وهو كلما خرج من مطب وقع فى مطب انكى واشد ٠ كل ذلك وهو متمسك باحترامه ، فلم يرقص ولم يحجل ولم يلطم لطام التكالى واليتامى فى أربعين ميت !

ولو كانت لدينا سينما محترمة وكتاب سيناريو على المستوى اللائق وجمهور سينما فاهم واعى ، لو كان لدينا كل ذلك لاستطاع عبد الرحمن أبو زهرة أن يصبح مضحكا رقيقا للسينما المصرية بدون زعيق وبدون شقلباظات وبلا مسدسات ولا مدافع ولا عصابات ! ولكن حتى تصبح السينما المصرية فى هذا المستوى فعلى عبد الرحمن أبوزهرة أن يعرف ان مجاله الحقيقى هو الكوميديا الهادئة ، وعليه ألا ينجرف فى تيار المضحكين ، لانه بطبيعته وحجمه وصوته لايصلح اطلاقا لكى يدخل فى مباراة مع الهنيدى أو عوض أو حتى حسنى العطار ٠ واذا كان عبد المنعم ابراهيم هو مضحك المسرح الكوميدى الراقى ، فعبد الرحمن أبوزهرة هو مضحك المسرح القومى ، هذا اذا فكر المسرح القومى فى ان يقدم روايات مضحكة تليق بشيخوخته وتتفق مع جلاله ٠ أما اذا أصر على أن يكون مضحكا بين المضحكين ، واذا أصر على أن يزاحم عوض وأمين الهنيدى واذا استطاعت الفرق الخاصة أن تجر رجله وان تمسخه ، فسيلقى نفس المصير الذى لقيه عندما ظهر فى النحلة والدبور وسيصبح مجرد حشرى فى دنيا المضحكين ٠

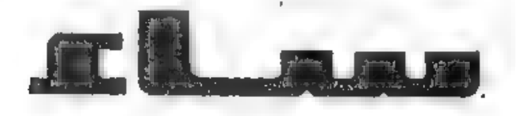
سماع ..!

بسا

الامثال هي حكمة الشعوب ، وهي خلاصة تجربتها الطويلة وعند العرب مثل حكيم يقول «المليح يبطىء» ٠٠ أى ان الشيء الجيد ياتى متباطئا ، ويأتي بعد حين !

وفي سبق الخيل مثلا ، الحصان الاصيل يبدأ متمهلا ويبدأ على استحياء ، والحصان الهزيل تراه في المقـــدمة في بداية السباق ، ثم يسقط صريعا بعد فترة ليتقدم الحصان الاصيل ويأخذ مكانه الطبيعي في السباق ٠ وفي دنيـا الناس حـدث التطبيق العملي لهذا المثل في أكثر من مجال ٠

نجيب محفوظ مثلا بدأ حياته في الظــل ، وكانت كتبـه توزع بالنسخة بينما الآخرون يوزعون بالالوف والمئات ٠ ولكن لان السباق طويل فقد تقطعت جميع الأنفاس ، وتسـاقطت الجياد ، جوادا بعد جواد ، وبقي نجيب محفوظ وحده وتخلف الآخرون كل منهم في مكان ٠

وفي الفن لاينطبق هذا المثل العربي على أحد قدر انطبـاقه على أبو لمعة والخواجة بيجو وفتوة ساعة لقلبك والاخ السمين فتله ٠ عندما بدأت ساعة لقلبك كان هؤلاء الاربعة هم نجومها وهم فرسـانها ٠ وفي الوقت الذى كان فيه فؤاد المهـندس يتوارى في الصف الثاني ، وأمين الهنيدى يقف في الخلف ، كان أبو لمعة هو فتوةالحته وهو صيبت الشادر ، واسمهأشهر من ميدان رمسيس ! وكان الخواجا بيجو المع من كهربة ميدان طلعت حرب . واسمه أشهر من سجاير البلمونت ! وكان الفتوة نجما ولا عمر الشريف ، فنانا ولا عبد الوهاب ٠ شـهيرا ولا فرعون نفسه ٠ وكان فتلة هو دلوعة البرنامج ، وهو النجـم المفروض على المشاهدين منخلال التليفزيون ٠ وعبثا لميستطع فؤاد المهندس والهنيدى رغم كل المحاولات أن يلحقا بموكب الخالدين ! فقنعوا بالبقاء في الظل ، بينمـا استمتع الاربعـة العظام ، بالشمس والضوء والصمت العريض ٠

ويوما بعد يوم ، وعامابعد عام ،بدأ الأربعة الكباريتراجعون نحو الخلف ٠ وبدأت الخيول الاصيلة زحفا نحـو الأمام ٠ وعندما استنفد برنامج ساعة لقلبك أغراضه : بدأت الاسـماء تشحب وبدأت الشهرة تغيب ٠ ثم لم يلبث الفرسان الاربعـة أن سقطوا واحدا وراء الآخر ٠ وكان الفتوة أسرع الجميـع ٠ سقط في أول مطب صادفه ، ثم تعثرت قدم فتلة وانكب على وجهه ، ثم هاجر الخواجا بيجو الى الكويت خبيرا في فن آخر ليس له علاقة بالفن ، وبقي أبو لمعة وحده يصارع من أجـل البقاء ، ولم يدرك أبو لمعة انه يسبح ضد التيـار ! لم يدرك أبو لمعة أبدا ان سر تفوقه على المهندس والهنيدى في برنامج ساعة لقلبك ، ليس سببه انه أكثر منهم فنا ، ولكن سببه ان موهبته كانت من لون ونوع البرنامج ، وكانتمواهبالآخرين أكبر من ان يتسعلها البرنامج ، أو يكشف عن معدنهاالاصيل!

برنامج ساعة لقلبك كان هو مملكة الموهبة الضــــئيلة والعن القليل ، ولذلك كان الفتوة ملكا على البرنامج ، بينمــا كان المهندس والهنيدى هم الخدم والعبيد • فلما اتسعت المملكة ، لما ترامت الحدود ، لما انتقل نجوم الفكاهة الى المسرح ، تغيرت الاحوال ، فأصبح المهندس والهنيدى هما الملوك بينما الاربعة العظام تحولوا الى خدم وعبيد !

انقلاب رهيب قد يظنه البعض وقع نتيجة ظروف خارجيةأو غيبية ! فؤاد المهندس مثلا حظه أحسن من حظ أبو لمعــــة ، والهنيدى محظوظ عن بيجو ، ومدبولى أحسن حظا من الفتوة• ولكن الحقيقة عكس هذا على طول الخط ، وما حدث كان ينبغى ان يحدث ، وهو حدث نتيجة ظروف طبيعية ومنطقية وعلميــة ايضــا !

كيف ••؟!

فلنفرض ان فؤاد المهندس رصاصة وأبو لمعة زلطة ، ولنفرض اننا أطلقنا الرصاصة من نبلة لنصيب بها هدفا ! سنكتشف ان الزلطة خير الف مرة من الرصاصة ، وسيظل هذا الاكتشاف قائما مادامت أداة الاطــلاق هى النبلة • ولكن لو اســتخدمنا البندقية فى الاطلاق ، فلن نكون فى حاجة الى الزلطة ، لانها لن تدخل فى البندقية ، ولو دخلت فلن تنطلق ولـكنها ستتهشم وتنسحق داخل البندقية ، وليس معنى هذا أن الزلطة وحشه ، ولكن الزلطة لها أداة اطلاق واحدة وهى النبلة ، وكان برنامج ساعة لقلبك هو النبلة •• ولذلك صار للزلط هناك ســـعر عظيم •

فلما تغيرت أداة الاطلاق الى البندقية ، لما انتقل نجوم ساعة لقلبك الى المسرح ، تهشم الزلط على الفور ، وانطلق الرصاص يصيب هدفه !•

ولقد تبلورت وتجسمت مأساة الاحصنة الهزيلة فى المضحك أبو لمعة • وبينما قنع الآخرون بأدوار تافهة فى المسرحيات ، أو بالظهور احيانا فى التليفزيون من باب الشــفقة ، صــعد أبو لمعة المسرح متحديا وفى دور البطل • ولكن ملابس الدور كانت واسعة عليه ، واكتشف الكل انه لا يصلح أساسا لارتداء هذا الزى ، ولكن أبو لمعة وحده هو الذى لم يكتشف السر ! وظل مصرا على الصعود على خشبة المسرح ، ولكنه قام بأدوار اقل اهمية ثم متدحرجا بعد ذلك ، قافزا من فرقة الى فرقة ، ليس بحثا عن الاجر على وجه اليقين ، ولكن بحثا عن مكان له خلف الستار ، ومحاولة لاثبات المعادلة الصعبة وتحقيقها ، ان فنان الاسكتش يمكن أن يغزو المسرح •• ويصبح سيدا له •

ولكن أبو لمعة سيفشل فى تحقيق هذه المعادلة ، ولو ظل طول حياته واقفا على المسرح • لان مكانه الطبيعى هو مسرح المنوعات ، وهو مسرح ليس له وجود فى بلدنا رغم حاجتنــا الشديدة اليه • مسرح النمر القصيرة والعروض الخاطفــة • والمواديت البســيطة التى لا تحتــاج الى تأليف ولكن الى ذكاء ! وهو مسرح يتسع لأبو لمعة وبيجو وأحمد الحداد وفتلة ومصطفى عزمى وجميع النجوم التى هوت بعد ساعة لقلبك ولم تستطع أن تجد لنفسها قدما فى المسرح •

والخواجة بيجو مثلا فنان خفيف الظل جدا •• ولكنه فى دور مسرحى يتحول الى شىء ثقيل الدم للغاية • وهو قادر على اضحاك الناس وحده لمدة خمس دقائق فقط ، ولكنه يفشل اذا استمر بعد ذلك واقفا أمام الناس ! وفتوة ساعة لقلبك يستطيع أن يهنكر هو الآخر عدة لحظات ويكسب رضاء المتفرج ، ولكنه يفشل فشلا ذريعا اذا ارتدى ملابس ممثل فى رواية مرسومة الادوار ، نفس الشىء ينطبق على فتلة ، وعلى أحمد الحداد •

ومجال هؤلاء جميعا ليس المسرح العادى ولكنه مسرح المنوعات والتليفزيون هو الاب الشرعى لهذا المسرح ، ويستطيع أن يحقق من ورائه فائدة كبرى للتليفزيون ولجمهور المشاهدين. وفى تليفزيون لندن برنامج منوعات مدته ثلاث ساعات كل اسبوع ، يقدم هذا اللون من الفن ، فى النكته والقفشة ، والقافية . وعشرات المضحكين يرتدون أزياء الفرسان وأزياء النساء وأزياء الاطفال .. ويقلدون أبطال الملاكمة وكرة القدم والمصارعة والسباحة الطويلة ورجال السياسة والصحافة . ويقدمون نماذج من المجتمع وشخصيات ذهبت فى التاريخ .

ولكن مثل هذا المسرح يحتاج الى امكانيات عظيمة من ديكورات وملابس ومناظر ومخرجين فاهمين لطبيعة مسرح المنوعات . ولكن ظهور البرنامج بملابس باهته ومناظر كحيانه، ومخرج مثل روبير صايغ مثلا ، لن يكون مصيره أفضل من مصير ساعة لقلبك ، وسيتدحرج هؤلاء البؤساء مرة أخرى والى حيث لا عودة والى حيث لا رجعة !

ولو ممول ثرى وناصح وخبير فى مهنة المسرح ، ولو ينفق ببذخ وبسخاء على مسرح من هذا النوع ، فانا أضمن له ربحا مضمونا من جولات فى أنحاء العالم العربى ، لان مسرحا من هذا النوع يستطيع أن يخاطب مزاج الجميع ، ويستطيع أن يضحك جميع الطبقات ، من الكويت الى خيام اللاجئين!!

ولكن اصرار أبو لمعة على منافسة محمد عوض والهميدى والمهندس محاولة مصيرها الفشل .. وتصوره انه قادر على أن يصبح من نجوم الشباك شىء أشبه بتصورى ان أكون يوما ما بطل العالم فى الوزن الثقيل . صحيح اننى قد ألاكم رجلا ذات مرة وأصرعه ! ولكن أن أتحول الى ملاكم محترف ومقيد فى سجلات الاتحاد الدولى ، فهو شىء يمكن أن يحدث ولكن فى المنام !

وبدلا من ضياع أبو لمعة بين مسارح الفرق الخاصة ، وبدلا من ضياعة احمد الحداد فى ملاهى شارع الهرم ، وبدلا من اتجاه فتلة الى صناعة القهوجة ، على وزن الفندقة ، وبدلا من وقوف الفتوة على أبواب المسارح واستديوهات التليفزيون بدلا من هذا كله .. انشئوا مسرح المنوعات .. فهم مواهب لاشك فيها ، وهم مضحكون بالفعل ، ولكن قماش موهبتهم أرق من أن يتحمل شقاء المسرح ! وهم فنانون بالتاكيد ، ولكن فنهم أضعف من أن يتحمل الوقوف ساعات أمام جمهور يريد أن يتفرج ويشبع ، انهم سندوتشات فنية ، ناكلها على الواقف وناكلها على الماشى ولا تستطيع السندويتشات أن تحل محل الاطعمة الدسمة ! ونحن فى حاجة الى هذه السندويتشات ، وفى انتظار مسرح المنوعات ، لكى ننتشل هؤلاء البؤساء وأيضا لكى نضحك عليهم !

شريف

سيظل شكوكو هو الفنان الوحيد الذى استطاع أن يحافظ على مكانته ــ كمضحك ــ فى قلـــوب المتفرجين أكثر من ثلاثين عاما طويلة • وهورغمشيخوخته لايزال هو التمثال الحى لخفة الدم المصرية • وهو رغم وقوعه أحيانا فى مصيدة التكرار الا انه استطاع أن يحتفظ برصـيده فى قلوب الناس ، ولايزال شكوكو هو أحب المنلوجست وأكثرهم خفة وعـفوية وحلاوة على الاطلاق •

وشكوكو يعكس بملامحه ونفسيته شخصية ابن البلدالمصرى الطيب الضحوك الولوع بالفرفشة والانبساط • وهو بسيط بساطة المصرى الطيب ، فلا هو معقد ولا متقعر ، وهو حتى فى نقده للحياة ينقدها وانما فى رفق ، كانه يعالج زجاجة يخشى عليها من الكسر ، ثم هو يريدها فى النهاية أن تتعدل من أجل أن تستقيم الحياة للمتعة والمزاج • وهو بهذه البساطةاستطاع أن يعبر مئات الكبارى التى أقامها الفلاسفة والمفكرون لـكى يصلوا فى النهاية الى نفس النتيجة التى وصل اليها شكوكو

بلا فلسفة ولا تعقيد • وهو بهذا الخط المستقيم استطاع أن يصل الى قلوب الملايين ، لدرجة أنه ذات يوم أصبحت له تماثيل تباع فى الشوارع ، وما من دكان بقال أو جزار أو حـلاق ، وخصوصا فى الاحياء البلديه ــ الا وكان يزينه تمثال للبطل شكوكو !

واذا كانت هذه التماثيل قد استخدمها البعض مادةللهجوم على شكوكو ، فهى فى الواقع كانت دليلا على نبوغه • فلم يكن شكوكو وقتئذ زعيما لحزب ، ولم يكن يمسك فى يده بسيف المعز وذهبه • ولكنه كان مجرد فنان أرزقى دخل قلب المصرى البسيط لدرجة انه صنع له تمثالا ، لكى يصبح شكوكو فى العين بعد أن أصبح يملأ القلب والجوانح والفؤاد !

ولقد دخل شكوكو السينما ثم هجرها أو هجرته بعد ذلك ، لأن السادة الأجاهل لم يستطيعوا الاستفادة من هذه الموهبة الفذة فى خفة الدم •• ولا أدرى لماذا لم يجرب محمود شكوكو حظه فى المسرح • هل لقصور فيه ؟ أم رهبة من هذا اللون الرهيب الذى أكل واقصى كل المواهب ؟ أم عملا بالحكمة الخالدة « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » !

لعله حظ شكوكو وحده ، وتوكله على الله هو الذى جعله بعد أن هجر السينما يقصر نشاطه على فن المنلوج والارجوز ، ليصبح أميرا وعلما على هذا الفن وبلا منازع •

ومنذ سنوات ليست بعيدة رأيت شكوكو ينتزع الضحكات من قلوب أهل بون وفينا بحركات بسيطة وبلا كلام •• وقلت يومها لقد اعاد شكوكو مجد شارلى شابلن فىالسينما الصامتة ولكن عن طريق آخر •• هو المسرح الصامت ؟

ومسكين شكوكو لانه يشتغل بعفوية وتلقائية ولانه لايخلط ولا يحسب ، ولعل ذلك هو سر احتجابه الآن عن الاضواء أو ربما ــ ومن يدرى ــ لعل ذلك هو سر استمراره وبقـائه فى الصورة حتى الان !

ولقد ظهر مع شكوكو وبعده عشرات من أعلام هذا الفن ولكنهم جميعا وقفوا في الصف خلف شكوكو • لم يستطع أحد منهم أن يتقدمه أويتفوق عليه • كان هناك اثنان يزاحمانه كتفا بكتف •• أحدهما اسماعيل يس ، وقد هجر فن المنلوج الى المسرح ، ثم هجر المسرح بعد ذلك الى لاشيء !

والثاني عمر الجيزاوى ، وهو لايزال حتى هذه اللحظة حاضر وغائب ، وموجود وغير موجود ، وليس هناك مسئول عن مأساة عمر الجيزاوى الا رجل واحد فقط هو عمر الجيزاوى نفسه • ولو استخدم عمر الجيزاوى خفة دمه وصوته الحسن لاستطاع أن يستمر الى مالا نهاية ، واذا كان شكوكو هو ابن البلد المصرى خفيف الدم ، فعمر الجيزاوى هو الصعيدى المصرى خفيف الدم • ولكن عمر الجيزاوى يمتاز بصوت أحسن • طبقاته سليمة ، وفيه حلاوة وفي الوقت نفسه يقطر شجنا وهما وأحلام !

ولكن عمر الجيزاوى لظروف تاريخية وبيئية ضيع نفسه • فذات عام لاأدرى على وجه التحديد متى كان ، اعتقد اعتقادا راسخا انه صاحب نظرية في تطوير المسرح ، وأن أعمدة المسرح ثلاثة •• يعقوب صنوع وجورج ابيض ••و • عمر الجيزاوى ! ثم يأتي بعد ذلك يوسف وهبي وزكي طليمات وربما ومع التساهل فتوح نشاطى • وهو لهذا السبب هجر عمله الاساسى خفة الدم ، وطالب بمنصب المستشار أسوة بسيد بدير ، ثم تفرغ لكتابة المذكرات عن الطرق المؤدية الى نهضة المسرح ، ولو أتيح لهذه المذكرات ان تجمع في كتاب ولو أتيح لهذا الكتاب ان ينشر لصار أكثر الكتب المضحكة توزيعا في العالم •

وهو عندما وصل الى نقطة اللاعودة ، عندما تصور نفسه من أعمدة الحكمة السبعة ، وعندما تحول في نظر نفسه الى شهيد بسبب الاهمال المتعمد ، ولانه في بلد لاتقدر العباقرة الافذاذ العظام الكرام مثله •• عندما وصل الى هذه النقطة رفض فنه مستصغرا شأنه ، فلما عاوده الحنين وأجبرته الحياة على

العودة ، عاد على استحياء متدحرجا بين ملاهى شارع الهرم وملاهى شارع الالفى • ولكن كيف لعبقرى مثله ان يتفاهم مع قوم مثل هؤلاء ؟ عندئذ آثر الانزواء في الجيزة مكتفيا بتوزيع ارشاداته الطبية والفنية والفلسفية وأحيانا السياسية على كل من يلقاه !

ولعل أحمد غانم هو ثالث الفرسان في هذا الجو ، ولقد اثار ظهوره في البداية ضجة كبرى ، وسبقه لقب عريض ورنان لم يسبغ على أحد قبله •• المنلوجست الجامعى !

وتصور الناس ان المنلوجست خريج الجامعة ، سيقلب هذا الفن رأسا على عقب ، واذا كان المنلوجست الجديد لايتمتع بخفة دم شكوكو •• ولا بصوت عمر الجيزاوى ، فهو على الاقل يدخل هذا المضمار بثقافته وبشهادته • ولكن بعد قليل اكتشف الناس أن المنلوجست الجامعى ليس أكثر من يافطة • وانه يدور في نفس فلك الذين سبقوه مع فارق هام وخطير ، هو انه مجرد من اسلحتهم وليس معه سلاح جديد ، وبدلا من أن يصبح منلوجست الشباب ، فهو منهم على الاقل ، نصب من نفسه واعظا ، وتحول الى رجل فضيلة ، يزجر الستات من أجل اللبس القصير ، وينصح الازواج في منلوجات مكررة بعدم السهر على المقاهى وبعزقة الفلوس على الاصدقاء ! ولمع أحمد غانم فترة ثم راح يدور في دوامة أكل العيش ، ولا أحد يدرى الى أى حد أصابه الدوران بالدوار !

ثم يأتي رابعهم •• سيد الملاح ، وأشهد أننى أضحك عليه • ولقد لمع نجم سيد عندما ظهر مقلدا كبار المطربين وبطريقة ذكية عرتهم وأضحكت الملايين • وكنت أتصور أن سيد الملاح سيعبر هذه المرحلة الى آفاق أخرى جديدة ، وانه عثر على سلاح رهيب وفتاك في يده لو أحسن إستغلاله فسيصبح مضحكا وله شأن عظيم •

ولكن سيد الملاح وفيه قبس من «عبقرية» عمر الجيزاوى ، بلط فى الخط ، ووقف عند حد تقليد محمد عبد المطلب وفريد الاطرش وشفيق جلال ٠ كنت أتصوره سيخرج من هذه القوقعة الى تقليد كتاب المقالات فى الصحف ، الشـعراء ، الادباء ، الفنانون فى المسرح ، فى السينما ٠ كنت أتصور ان سيد الملاح سيحمل سكينه فى يده يغرزها فى الاجزاء الفاسدة فى المجتمع المصرى والمجتمع العربى كله ليبترها بقسوة وبخفة دم ، ولكن سيد الملاح شهر سكينه لحظات ثم استرزق . وفتح برزقه دكانة لبيع البضائع المهربة ، أو المهلبية لست أدرى !

ونسأل سيد الملاح عن خيبته فيقول :

ـ المسئول هو الاذاعة والتليفزيون ! يريد سيد الملاح ان تخصص الدولة أذاعة لحضرته ، وقناة لمنلوجاته ، والا فكيف يهبط الالهام عليه ؟ وكيف ينزل الوحى فوق راسه ؟ ولا يدرى سيد الملاح أن خيبته تكمن فى داخله ، وان لكل امرىء ما نوى وقد نوى سيد المكسب فكسب ٠٠ واستراح !

بعد هؤلاء عشرات سقطوا من قمر القفة وضاعوا فى دوامات الحياة ، محمد الجنيدى وكان يتمتع بهيكل مصارع ودم ليس

من بين مكوناته عنصر الاضحاك ٠ ونال محمد الجنيدى رغم ذلك حظا من الشهرة واخذ غلوة ثم ضاع !

وعندما ضاع لم يسأل عنه أحد ، ولم يأسف لضياعه انسان ثم سيد ماندولين الغلبان العدمان مثال الضايع المسكين ، الذى يعزف ويغنى ويرقص بكل اللغات ، ولكنه لم يستطع ان يفرق بين اضحاك الناس فى قهوة واضحاكهم فى مسرح !

لم يستطع سيد ماندولين أن يتحمل مسئولية اضحاك الناس فى حفلة ، نفس النكت الخارجة والحركات النابية ٠

صحيح ان الناس تضحك ٠٠ ولكن فرق كبير بين أن تجعل الناس يضحكون فى اطار الذوق والاحترام العام ، وبين أن تضحكهم بأى وسيلة وبكل وسيلة ! وأثبت سيد ماندولين فى أول تجربة له أنه مضحك قعدات وشلل ، وأنه ليس مضحكا بقدر ماهو مهرج ٠ وان كان مهرجا خفيف الدم الى درجة تستحق الاهتمام ٠ لماذا لانستغل سيد ماندولين بعد تهذيبه فى السيرك القومى ؟ أعتقد انه موهبة ومكانها هناك ٠

ولكن يبقى شكوكو وسط كل هؤلاء هو الفنان الذى أعطى وسيعطى الى آخر خفقة قلب ، وسيذكره الناس بعد ذلك على انه أخف دم بين كل الرجال المنلوجست فى هذا الزمان !

الرقص على السلم

ليس بين هـؤلاء الفرسـان أى رابطة فى الواقع ولكنها مجرد صدفة حسنة او سيئة لست ادرى ، ثم هو الاستعجال ايضا الذى جعلنا نجمع الشامى على المغربى لكى ننتهى من من هؤلاء المضحكين ، ولكى نفرغ على رأى عمنا الدكتـور طه حسين ، لما تزخر به الحياة من أمور شتى ينبغى علينـا أن نتناولها بالتحقيق والتعليق • أول هؤلاء الفرسان هو الفنان محمد شوقى • وهو ممثل قديم بدأ حياته ملقنا ثم سـار فى نفس الطريق الذى سار فيه حسن البارودى وشفيق نورالدين • واليد التى التقطته من ظلام الكمبوشة الى أضواء المسرح لاشك انها كانت يد مدربة وخبيرة وذواقه أيضا ، فهو ممثل موهوب ولاشك ، وهو قادر على أن يضحكنا بخفة دمه ، ولعله أقـدر ممثل على تحقيق دور ابن البلد بعد محمد رضا ، ولكنه عكس رضا لايستطيع أن يكون ممثلا لأولاد البلد على الاطلاق لسبب فيـه ! •

ولذلك توقفت قدرته عند حد تمثيل قطاع واحد فقط من أولاد البلد ، فهو ابن البلد الرزيل والحلنجي والأونطجي : هو

سمسار جلاليب قديمة فى سوق الكانتو • وهو شيخ حارة مرتشى • وهو مقرىء فى الجيش الانجليزى ! وهو صبى عالمة فى شارع محمد على ! وسبب آخر جـوهرى جعله يقف فى منتصف الطريق هـو أنه لم يحاول تنمية مواهبـه الخصبة لا بالثقافة ولا بالتعليم • فهو يعيش فى حدود لايتعداها ، ويدور فى دائرة لايخرج منها ، وهـو لم يقرأ الا الروايات التى قام بادوار فيها ، وهو أيضا لم يقرأها كلها ، حسبه أنه يقرأ دوره الذى سيؤديه ! ولعل هذه الاسباب مجتمعة هى التى قيدت خطواته وجعلته لايستطيع اختراق حاجز الصوت ليحلق فى العلالى ! ورغم ذلك كله فهو ممثل مهضوم على رأى أشقائنا فى لبنان •

وهو يدخل قلبك بسهولة ، وهو يصبح صديقك من أول لحظة يظهر فيها على المسرح • فهو لايتكلف ولا يصطنع ،وانما هو ممثل تلقائى يتحرك بعفوية ،ويؤدى دوره فى يسر ،ويتكلم كأنه بين شلة من الاصدقاء وسوء حظ محمد شوقى انه من أبناء مسرح الريحانى ، وعندما جاءته الفرصة ، صعد على خشبة المسرح ليؤدى أدوار المرحوم عبدالفتاح القصرى ،ولذلك حدثت المقارنة ، وهى عملية ليست فى صالحه • ولو اهتم أحد بمحمد شوقى كممثل ، لو كتب له مؤلف دورا ليؤديه لأصبح محمد شوقى شيئا أفضل ممـا هو الآن ، ولـكن حتى الادوار التى اختير لها بعيدا عن مسرح الريحانى ، لم تكن مكتوبة له أصلا، ولم يكن هو الممثل الذى ينبغى أن يقوم بادائها • فى مسرحية البكاشين مثلا ، قام بدور صـحفى ، وفضـلا عن هيافة الدور المكتوب فان شوقى هو آخر ممثل يصلح لدور رجل فى هـذه المهنة ، كما انه فى مسرحية البولوبيف صعد الى المسرح ليؤدى [illegible] يؤديه على الغندور باقتدار !

ويستطيع محمد شوقى ان يشق طريقه على المسرح كممثل كبير لو وجد من يحتضنه ، ومن يكتب له أدوارا تلائم موهبته

فهو يتمتع بكل مواصفات وخصائص الممثل الموهوب القادرعلى التعبير وبخفة دم فى كل الاحوال ·

وثانى هؤلاء الفرسان هو أنور محمد · وأنور ممثل متعلم، فهو خريج معهد التمثيل ، وهو من أبناء المسرح الحر ، وكان يتولى فيه منصبا هاما فيما مضى من الزمان · ولكن أنور محمد يقف فى آخر الصف بين أبناء المسرح الحر والسبب انه اخذ التمثيل حرفة ، فلا هو يطمع فى تمثيل دور معين ، ولا هو يقاتل من أجل الانضمام الى فرقة معينة ، ولكن مايهمه هو أن يقضى معظم أيام السنة ممثلا ·· فى أى دور · فى أى فرقة · فى أى مكان · المهم أن يمثل كل ليلة وأن يتناول أجره على ودنه ، لكى يتفرغ بعد ذلك لادارة أعماله الاخرى وهى كثيرة والحمد لله ! ولذلك تراه فى أغلب الاحيان يطرش الكلام ولا يمثله · وستظن وانت تشاهده انه مستعجل ، وانه خارج من المسرح فى طريقه الى موعد هام · وهو قادر دائما على أن يتعاقد مع ثلاث فرق فى وقت واحد ، وأن يعتذر للجميع ليلة الافتتاح لانه اتفق مع فرقة رابعة · وهو جاهز دائما للتمثيل مع اى فرقة مسافرة للارياف ·· انه النفر الواحد المطلوب قبل مانطلع · وهو يظن أن هذا السلوك لايؤثر عليه كممثل · غير ان هذا هو الذى حدث بالفعل · فهو فى بداية حياته كان مضحكا · وكان على قدم المساواة مع عبد المنعم مدبولى ، ولكن فجأة ترك المسرح الحر وسرح فى دنيا الفرق · افندى مرة ، فراش مرة · محامى مرة · قهوجى أكثر من مرة · وهو لانه شاطر فهو قادر دائما على الصعود الى المسرح ليؤدى دورا — أى دور — فى نفس الليلة دون أن يلقى نظرة واحدة على سطر واحد فى هذا الدور · وهو بهذا الشكل يصبح نجدة لكل الفرق وعامل انقاذ لايمكن الاستغناء عن خدماته · ولكنه عندما اصبح الممثل المنقذ ، مات فى داخله الممثل العظيم · والممثل العظيم هو الذى يدفع أحيانا من أجل هوايته ، وهو الذى يتشرد ويصوع ويجوع بسببها · وهو الذى يقضى العمر كله يحلم بدور معين يؤديه · وقد ينقضى العمر كله دون أن

يؤديه ، فيذهب مع حلمه الى قبره ! ولكن أنور محمد الشاطر يرى أن التمثيل مجرد أكل عيش ومصدر دخل لابأس به · وهو يعتقد أن المتفرجين حمير ، وانهم لايفرقون بين الموهوب والموهوم · لعل هذا هو فهم أنور محمد للفن الذى احترفه · ولعل هذا هو السر الذى جعله رغم انتشاره يقف على السلم · فلا هو بين النجوم ، ولا هو مع النكرات ، ولكنه الممثل الجاهز الحاضر ·· أنور محمد !

ثالث الفرسان هو حسين عبد النبى · وحسين مقتبس ومعد وممثل ، ولديه الاستعداد ليكون مخرجا أيضا ! وهو مضحك باعتبار انه هو نفسه يعتقد ذلك · ولكنه فى الحقيقة شىء اذا تفرجنا عليه قد ننشرح ، واذا لم نتفرج عليه فاننا لن نفتقد شيئا · ولكن هو نفسه مصر على انه بطل الابطال ·وان الحظ السيىء هو الذى دفع بالمهندس الى المقدمة ، ورماه فى زوايا الاهمال !

ولكن ميزة حسين عبد النبى ، انك عندما تراه تحس أن التمثيل فن كل انسان قادر عليه ! فما دام حسين يمثل فما الذى يمنع أى موظف فى أرشيف مصلحة المساحة من احتراف مهنة التمثيل ؟ لانك تشعر وانت تتفرج عليه انك فى مسرح مدرسة ، أو فرقة داخل شركة من الشركات · فهو ممثل موظف منضبط للغاية ، يحفظ دوره تماما ، يحاول المستحيل لكى يجعل الناس تضحك عليه · وهو لانه غاوى تمثيل حبتين زيادة · ولانه جاهز ومستعد للظهور فى أى وقت · فهو دائما جاهز بروايات من تفصيله · واذا كانت الشنطة فى طنطا لاتعجبك فهو جاهز بالاكلة فى تكلة ، أو المنجه فى شبلنجه ! شرطه الوحيد أن يكون هو البطل · ورغم ظهوره فى دور البطل فى أكثر من رواية ، ورغم أضواء مسرح التليفزيون له أيام الهيصه والهوجة والهبر العظيم ·

رغم كل ذلك أراهنك لو ذكر واحد فقط من بين كل الف ، حسين عبد النبى كواحد من المضحكين !

انه مضحك مع وقف التنفيذ • وهو مضحك لم يأخذ الفرصة ليضحك أحدا ، رغم اشتغاله بالمهنة كل هذه السنين ؟! وهـو أن تكون أو لاتكون • وأن تكون سيظهر هذا من أول لحظـة قد يكون مضحكا بالنية الطيبة والقصد الشريف • ولكن التمثيل فن صعب ، وهو لايهتم كثيرا بالنوايا الطيبة ، ولكن فى التمثيل تضـع فيها قدمك على خشـبة المسرح ! وأن لا تكون • ستقضى العمر كله تبحث عن نفسك • واذا كان محمد شـوقى يقف على السلم ، واذا كان انور محمد يقف خلف محمد شوقى بعدة درجات فى السلم • فحسين عبد النبى يقف فى بير السلم • ورغم أن النهار طالع والشمس مرعرعة ، الا أن بير السلم دائما مظلم ورطب وموحش • تشعر وانت واقف فيه انك فى جبانه •• أو فى أرض خلاء !

ورابع الفرسان هو سيد راضى • وهو أيضا مثل حسين عبد النبى مؤلف وممثل ومخرج ومقتبس • ولكنه يختلف عن

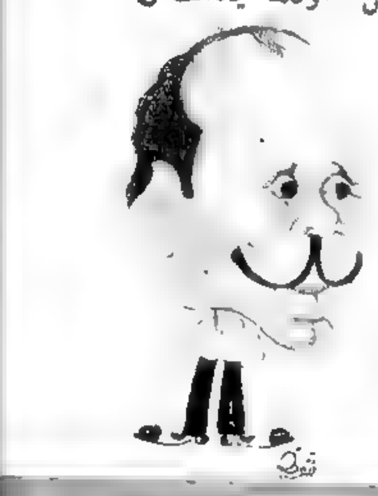

حسين عبد النبى ، فهو فنان وحساس ثم هو مضـحك أيضا • ولكنه سيضيع بسبب لحسة عقله ، ولانه أهوج ، ولانه مستعجل شهرة ، وجامع شيكات من جميع الفرق ومن كل برامج الاذاعة والتليفزيون • ولانـــه يضع رأسه برأس عبد المنعم مدبولى • وهو يريد أن يثبت أنه أعظم من مـــدبولى وأرسخ • ولكنه لن يستطيع أن يثبت ذلك بسبب لحسته ولهوجته واستعجـــاله • ولانه لم يستخدم رأسه فى التفكير أو فى البحث لنفسه عن لون يميزه أو هدف يسعى اليه • ويستطيع سيد راضى أن يتخلص من قيوده لو ركز نفسه فى شىء ما • فى الاخراج مثلا ، فهو مخرج يستطيع أن يقدم الكثير • وأنصحه بالتخلى عن التأليف والاقتباس ، فهو ليس مؤلفا ولن يكون • على أن نقطة الضعف فيه كمخرج انه لايفهم النص المكتوب ولا يستطيع أن يستخرج منه ابعادا أخرى أو اسقاطات معينة • لان عقله مثـل حياته مسطح ومفلطح • ولكنه رغم ذلك لاتزال أمامه فرصة لو أحسن استغلالها فسيصبح سيد راضى واحدا من المضحكين الصواريخ •

العيال

هذا هو آخر فوج من المضحكين ، ولا نستطيع أن نتكهن بالمستقبل لهم ، لان المستقبل بالنسبة لهم مازال فى علم الغيب ، وقد تاتى الرياح بما يشتهى المضحكون ، وقد تاتى بمالا تشتهى السفن ! وهؤلاء المضحكون الجدد هم شلة العيال ، ولا شك أن عادل امام هو ابرزهم وأقدرهم واشهرهم و .. انجحهم أيضا . فهو شديد الانتشار ، يحتل فى السينما منصة عالية الارتفاع وهو فى المسرح قليل الظهور ، ولكن الطلبات من الفرق تنهال عليه ولا الرمالى بتاع العيش أيام زمان . وهو بحق ممثل هذا الجيل من العيال ونائبهم فى المضحكخانة الكبرى . ويأتى بعد عادل امام وبدون ترتيب صلاح السعدنى وسعيد صالح ونبيل هجرس وفاروق نجيب وجمال اسماعيل وماهر تيخا وفاروق فالاوكس . ولعل الفضل فى ظهور هذا الجيل يرجع لمسرح التليفزيون فهو بسياسة اليغمة وفتح الباب على البحرى ، سمح لهؤلاء بالدخول والظهور . ولقد كان عادل امام وصلاح السعدنى طلبة فى كلية الزراعة ، وبالطبع لو لم يظهر مسرح التليفزيون ، لكان الاثنان معا يعملان الآن فى برارى سنديس أو صحارى الوادى الجديد . وكان سعيد صالح موهوبا متشردا هاربا من الدراسة شديد الضيق بها ، هائما على وجهه يبحث عن نفسه ، ولا شك أنه وجد نفسه فجأة فى مسرح التليفزيون . ولقد استطاع عادل أمام فى دور صغير أمام فؤاد المهندس أن ينفجر كالقنبلة . وكان لانفجاره دوى شديد . وكان دوره فى الرواية كاتب محامى

أونطجى فاهم لكل القوانين بحكم الخبرة الطويلة ، مفلس خرمان مثقل بالديون دائما .. شديد الاحتجاج على هذا البلد لانه بلد شهادات .. وآه يابلد ! ومن هذا الدور انطلق عادل امام كالصاروخ عاليا فى العلالى . ولقد أدرك تجار السينما المدربين أن هذا الطائر الجديد يصلح ليكون مصيدة لجمهور السينما الشهيد . فأدخلوه فى مفرمة السينما ، وفى أدوار تصنع لهم فلوسا ولكنها لاتصنع من عادل امام نجما ولعله هو اول من يدرك ميوعة هذه الأدوار وسطحيتها . ولكن السينما تلوح بالفلوس أمام النجوم ، والنجم مضطر لان يركع خصوصا اذا كان نجما جديدا ، وواقع معيشته لايتفق مع الشهرة العريضة والضوء الباهر والطموح ! ولقد وضع عادل فى المصيدة ، وراح يدور حول نفسه داخلها مبددا موهبة نادرة ، لاعنا أبو السينما وتجارها فى البداية ، مدافعا عنهم وعن أفلامهم بعد ذلك ، لاهثا من فيلم الى فيلم دائما ، منجذبا الى المسرح أحيانا يستنشق بين كواليسه روائح الماضى القريب الذى ولى . وعادل امام فلتة فنية ولا شك ، ودخوله السينما المصرية ليس بالأمر السهل ، خصوصا وفى سوق لايعترف كثيرا بالمواهب ويفضل عليها الاشكال . فالوجه الجميل خير من العقل الذكى ، والأناقة خير من الثقافة ، والمصنوع أعظم من الموهوب .

وكان عادل أمام يستطيع ان يفرض شروطه فى هذا السوق الذى يفتح أبوابه للنصابين والنشالين ويغلقها فى وجه أصحاب البضاعة الجيدة ، ولكن عادل - لظروف قهرية - اذعن لشروطهم ، وسلم رقبته لمخرجين يحتاجون الى دراسة اجبارية فى فصول محو الامية السينمائية ! سلم نفسه لهم ليضعوه فى دور السنيد الى جوار البطل ينقل له أخبار البنات ، يوجه اليه نصائح غابية ، يوقعه فى مقالب سخيفة . نفس الوضع القديم للممثل عبد السلام النابلسى ، مع الفارق الرهيب بين موهبة عادل وصنعة المرحوم عبد السلام ! وبدلا من ان يشق عادل طريقه الى البطولة ارتضى هذا الوضع ، وقنع بالادوار التى يساق اليها . والجنيهات التى تنهال عليه ! ولو أدرك عادل كم هو موهوب وكم هو مطلوب لنجا بنفسه من الكمين الذى أعدوه له ! واذا لم يهرب سريعا من هذا الركن المحشور فيه ، الى دور البطولة .. الشرير الخفيف الدم ، النصاب الظريف . مزيج من ريتشارد ويدمارك

وكليفتون ويب ! عصير من توفيق الدقن والمهندس ، خلطة من حسن يوسف وعبد المنعم ابراهيم ! وحتى لو فشل عادل فى الافلات من هذا المصير ، حتى لو ظل محلك سر فى دور السنيد والهنكار • فلن ينقص هذا من موهبته ، ولن يحط من قدره كممثل نابغ وموهوب وعظيم ، اضطرته ظروفه الى التعامل بأسلوب الزنوج فى القرون الوسطى ، عندما كانوا يقايضون الذهب بالعقود الخرز والسكاكين الصفيح !

وصلاح السعدنى ممثل موهوب وحساس لابد أن يشق طريقه الى القمة يوما رغم وقوفه الآن محلك سر فى سرداب الفن الطويل • ولعل وقوفه هذا مرجعه الى عوامل صنعتها أنا بنفسى ، وعوامل صنعها هو لنفسه ، ولو استمرت العوامل التى خلقتها ، والعوامل التى خلقها • فستقضى عليه يوما ما !

ولقد ورث صلاح السعدنى عداء كل السينمائيين بسببى، وأسدلوا عليه ستارا من الاهمال والنسيان انتقاما منى ! ثم حالة الصياعة والضياعة التى يعيش فيها باختياره • وشلل الانس التى تجره خلفها أو يجرها خلفه ، يستوى الأمر لأن النهاية واحدة • ثم ازمته الشخصية بسبب الهوة السحيقة بين ثقافته الفنية وبين الاعمال التافهة التى يقوم بها لدواعى أكل العيش • كل هذه العوامل جعلت صلاح السعدنى يقف محلك سر ، ولكنه رغم الاهمال والنسيان والارهاق الشديد بسبب شلل الانس ، ستجده معبود الشباب بين شلة المضحكين ، ثم هو أيضا أكثرهم فرصة لقدرته على الاضحاك والقيام بأى دور آخر كما حدث فى مسلسلة الضحية والرحيل •

ثم نتوقف عن الكلام فى صلاح السعدنى لأسباب كثيرة تجعل الكلام عنه يوقعنا فى حرج شديد • ويأتى بعد ذلك سعيد صالح فى المقدمة من شلة العيال ، وهو أخفهم دما ، بل هو اخف دم مضحك على الاطلاق ، وهو قادر على أضحاك الطوب بحركة أو بلفتة أو باشارة من اصبعه الصغيرة • ثم هو لانه نجا بمعجزة من عملية حشو الرأس بشعارات المثقفين،ودعاوى الادعياء ! ولانه نبت شيطانى فهو ابن الطبيعة ، وهو ممثل لأنه خلق ليحترف هذه المهنة ، وهو يشترك مع على الكسار

فى ميزة هامة هو انه لايتعمد التمثيل • ولكنه يتحرك على المسرح كما يتحرك فى الشارع ويتكلم بين شلة من الاصدقاء المقربين • انه الولد الاهبل المهبوط المنشرح الصدر المفكوك زراير البنطلون • صاحب الغفلة الحلوة ، والمنبهج لكل ما يحدث فى الحياة من افراح وأتراح ومصائب سوده وبلاوى متلتلة ! ولو تعقل سعيد صالح قليلا ، لو انضبط قليلا فى حياته وفى سلوكه ، لو ادخر كل جهده وكل قوته للعمل لانفجر مثل قنبلة زنة ألف رطل • ويأتى بعد ذلك سيد زيان • ولقد احترت فى سيد زيان واحتارت البرية فيه • فلقد رأيته أول مرة فى مسلسلة الافريكى واعترف اننى استثقلت دمه • ولكنى اكتشفت ان رأى الناس كان عكس ما أرى ، وحدث أيضا بعد ثلاثة أيام من بدء اذاعة المسلسلة أن التقيت بمخرج سينمائى هايف فسألنى عن عنوان سيد زيان ، فلما استفسرت عن السبب قال انه سيكون اعظم كوميديان مصرى فى المستقبل واندهشت جدا ، هل أنا مغفل الى هذا الحد ؟ أم حضرة المخرج هو المغفل ؟ ولكن سيد زيان خيب ظنى واستطاع ان يشق طريقه وسط امواج المنافسة الرهيبة ، حتى وصل اخيرا الى أن يكون عضوا دائما فى فريق الريحانى ، وضيف شرف أحيانا فى بعض الفرق الاخرى • وأعتقد ان سيد زيان يستطيع ان يستمر ، لو حدد نفسه ، ولو رسم برنامجا لمستقبله ، ولو كف عن دور ضيف الشرف مقابل خمسة جنيهات فى الليلة • ولو توقف عن منافسة محمد رضا فى دور ابن البلد لأن ملابس الدور واسعة عليه • هو يمكن أن يتالق فهو يمتاز بوجه مكعبر وتركيبة جسم غريبة ، وهو يستطيع ان يلمع فى دور الرجل المفلس المقتحم الغبى ، وايا كان رأينا فيه فهو استطاع ان يتمتع بشهرة طيبة فى وقت قصير ، وهو يحظى باعجاب قطاع عريض من الناس وهو الحصان الذى يحتاجه أى فارس ليشق طريقه الى المقدمة •

ومن بين جموع العيال المضحكين سنلمح مضحكا جديدا ولكنه خافت الصوت • وهو مجتهد عظيم يتالق أحيانا ولكنه لايزال شديد الاجتهاد بحثا لنفسه عن مكان وسط زحام

المضحكين . المضحك هو فاروق نجيب الذى تالق فى دور كباره فى مسرحية النصابين ، ثم دور قونالح فى مسرحية انت الى قتلت الوحش . وربما لو افلت نجيب من مصيدة بريخت ومسارح الهيئة ، ربما وجد فاروق نجيب نفسه ، حيث يستطيع ان يجد فرصة فى دور مضحك فعلا بعيدا عن الروتين والتعقيد والروايات الهايفة التى ترفع شعارات لاتحمل اى روح ، مسرحيات المحتوى البريختي والمستوى الشكسبيرى والتمازج المتفتح المنطوى على ارهاصات مستبطنة مستغلقة مخيفة مع الاعتذار للدكتور لويس عوض قواه الله ! .

ويستطيع جمال اسماعيل أن يصير مضحكا لو وضع يده على امكانياته الحقيقية . وهو فى زهرة الصبار كاد يحرز الهدف لولا ان الكورة ضربت فى العارضة وارتدت الى الملعب من جديد . ولكن دوره فى زهرة الصبار سيظل أحسن أدواره ، دور الصديق السبهللى المعجب بنفسه المفتون بعبقريته وقدرته . النافش من الخارج كالطاووس ، الخاوى من الداخل كالبيت المهجور .

ونبيل هجرس هو الآخر يستطيع أن يجد لقدمه مكانا بين الزحام ، فهو سفروت وخفيف الدم ، فقط يحتاج الى دور البطل فهو لم يخلق لهذا الدور ، ولكنه يستطيع ان يعيد دور عبد السلام النابلسى الى الحياة من جديد . نفس الكلام ينطبق على فاروق فالاوكس ، صاحب الوجه المسحوب والأنف اليهودى والنظارة التى لاتستقر والرأس المنبعج المضروب من الخلف البارز من الامام والشعر المنكوش كانه فرشة بلاط ملزوقة على فروة الجمجمة للزينة ولداعى التمثيل !

ولعل هناك آخرين غير هؤلاء ، فاذا كنا قد نسينا بعض افراد شلة العيال فالعتب على الذاكرة التى أصابتها الشيخوخة وأضناها طول الزمن الذى عبث بها ومسحها لطول الاستعمال أو لسوء الاستعمال !

أما هؤلاء الذين نسيناهم من المضحكين الكبار فقد نسيناهم عن عمد .. والذين ذكرناهم منهم مدحا أو ذما ، هم المضحكون بالفعل ، أيا كان راى حضرتنا فيهم . ومن عجائب الاحوال ان بعض الممثلين قد تضحك لهم وغيرك يستثقل ظلهم .. بعضهم لاتطيق رؤيته وغيرك يضحك له حتى يستلقى على قفاه .. ان المسائل فى دنيا المضحكين مسائل نسبية . لأن فى الحياة ملايين يتمتعون بخفة الدم . وملايين أخرين يتمتعون بالغلاسة والرزالة وتقل الدم . وهؤلاء أيضا فى حاجة الى مضحكين من نوعهم ، ومن رحمة الله انه خلق مضحكين لكل الناس ، نصيحة واحدة أقدمها لحضرات المضحكين العيال ، الا يحاولوا القفز بسرعة ، فهم لايزالون مجرد اقمار لابد ان تدور حول الشمس لكي يصبح لوجودها معنى ، ولكى تاخذ من الشمس اسباب الحياة .

فعادل امام مثلا لايستطيع ان يحل محل فؤاد المهندس على المسرح ، ولكنه يستطيع ان يملأ مكانه الى جوار فؤاد . وسعيد صالح لايمكنه ان يقف على المسرح مكان أمين الهنيدى ولكنه يستطيع ان يتالق فى دور مع أمين . ولايزال أمام شلة العيال سنوات حتى يصبحوا هم الشموس .

لم يبق من المضحكين بعد ذلك الا حضرات الكتبة وحضرات المؤلفين . وسنستعرضهم على مرتين . المؤلفون وهم نعمان عاشور فى المقام الاول ثم سعد وهبة والفريد فرج أحيانا وعلى سالم .. ثم حضرات الكتبة والمقتبسين . مدرسة بديع خيرى وأبو السعود الابيارى .. ومن هؤلاء سمير خفاجى فى المقام الاول ثم بهجت قمر وعبد الله فرغلى وأحمد حلمى وأنور عبد الله .. ثم الطلوع الذى طفح أخيرا على جلد الحركة المسرحية المدعو عزت عبد الغفور . سنحاول أن نقول كلمة حق فى كل منهم ، فان وفقنا كان بها ، وان فشلنا فعذرنا اننا أيضا بعض هؤلاء المضحكين .

نعمان عاشور هو ملك المضحكين بلا جدال ، وهو ملك لأن ضحكه يذرف دمعا ، ولأن هزاله يقطر مرارة ، ولأن كلماته الراقصة تفيض حزنا كما تفيض الانهار بالمياه • وهو أكثر الجميع فنا ، وأشدهم قدرة على التهكم ، وأعظمهم سخرية وأحدهم لسانا • وهو أبو المسرح المصرى الجديد بلا جدال ، وكلهم نسج على منواله وسار على دربه • وهو فى المغناطيس بدا وكأنه يستكشف طريقه فلما اطمأن إنفجر فى الناس اللى تحت ، وبدا كأنه اعتصر نفسه ، وأخرج كل ما فى أحشائه • ولذلك بدا صوته أكثر خفوتا ، وسخريته بدت أكثر نعومة فى الناس اللى فوق ، ثم انحدر نعمان عاشور فى سيما أونطة ، وصنف الحريم ، ثم عاد يتألق من جديد فى عيلة الدوغرى ولعلها أعظم وأكبر أعماله • ولكن يبقى منه بعد ذلك أنه أضحكنا وأبكانا فى الوقت ذاته ، وانه إنتزع منا الضحكات فى الوقت الذى انتزع فيه منا الدموع • وأننا ضحكنا من خلال أعماله على أنفسنا وعلى الناس وعلى نعمان عاشور نفسه •

وهو أقرب الكتاب المضحكين الى مزاج المصرى العادى ، وهو أكثرهم فهما لمشاكل الطبقة الوسطى والمرقيين وأصحاب رءوس الاموال الصغيرة والذين هبطوا من سطوح الحياة الى بير السلم والذين يحاولون الصعود من بير السلم الى سطوح الحياة ، ولكنهم لظروف خارجة عنهم ولظروف خارجة منهم تتعثر خطواتهم على السلم •• فلا يكادون يصعدون حتى يتعثرون ، ولا يكادون يتعثرون حتى يتدحرجون ، ثم يقومون ليعاودوا الصعود من جديد •

يا ميت خسارة على نعمان عاشور لو وهب قلبا حادا مثل لسانه •• ولو تفرغ حقيقة للمسرح •• ولو قضى عمره ينحت الشخصيات التى صادفها فى الحياة والتى التقى بها فى رحلة العمر ، لترك لنا ثروة فنية ، فهو ريفى ومن سكان المدينة وأبوه ثرى أمثل ، ولكن نعمان يشهد فى طفولته نهاية الثروة •

ثم هو ثائر فى عهد الملكية ، ولكنه يذوق طعم السجن ليتوب عن الثورة • ثم هو موظف وفنان • وهو رب أسرة ملتزم ، ولكنه يحمل فى داخله روحا صايعة • انه صاحب تجربة ولكن القليل منها طفح على سن قلمه ، والكثير منها اختزنه فى داخله ، وهو ينهار ذات مرة تحت ضربات النقاد ، أصحاب النظريات ، فيحاول أن يكتب شيئا يرضيهم • ثم يكتشف أنه فقد نفسه ، فيعود ولكنه يخطىء مرة أخرى ، لأنه لم يحاول أن يكتب نفسه ، ولكنه يكتب من أجل اغاظتهم ! ثم يكتشف فى النهاية أنه أصبح عجوزا دردبيسا ، وأن العمر أكثره ولى ولكنه لم يذهب هدرا على أية حال • فقد ترك نعمان أثره فينا ، وشيد مدرسة تحمل اسمه ، وفتح الطريق أمام المؤلف « المصرى » الذى يقرأ ويتعلم ، ولكنه لا ينقل ولا يلطش • والذى يفتح نافذة بيته أمام كل الثقافات من كل الاتجاهات ، ولكنه لا يسمح لها بأن تقتلعه من جذوره ، وتحمله معها !

ويأتى سعد وهبة بعد نعمان عاشور ، ولكنه يأتى بعد فترة .

وسعد وهبة يتألق عندما ينقل تجربته على المسرح . ولكنه يتوه اذا حاول الدخول فى اطار النظريات والانتظام فى طابور الاشكال الفنية .. ولذلك كانت كوبرى الناموس أعظم وأهم أعماله . ثم جاءت بير السلم بعد ذلك لتؤكد توهانه واغترابه . ولعل سعد وهبة أراد أن يضمن رضاء النقاد بعد أن ضمن رضاء الجمهور . ولو ترك سعد نفسه على سجيتها . ولو لم يسع الى مقعد الأستاذية فى المسرح المصرى . فلربما استطاع سعد وهبة أن يحقق نجاحا منقطع النظير . فى أول أعماله المحروسة قدم سعد وهبة نموذج المأمور المتعجرف الرهيب مع الرعية ، الارنب المتخاذل أمام الحكام . ومدرس الالزامى العبيط الذى شنق نفسه بنفسه ، والغفير المسجون الذى شهد فى جناية القتل بان القتيل صاح قبل أن يموت بأن قاتله هو عبد الـ ... ثم أسلم الروح فلم يتكلم .

ولكن الغفير يضطر الى تغيير اقواله . فالسراى والمامور وكل السلطات تريد اتهام عبد الحميد غزال بقتل القتيل الذى قتله المامور نفسه . ويعدل الغفير عن أقواله . فلقد صاح القتيل قبل موته بأن قاتله هو عبد الـ .. حميد غزال !

نكتة تكشف التركيب الاجتماعى الذى كان سائدا وقتذاك . وخيط كان يجب على سعد وهبة أن يمسك به ويمضى .. ولكنه آثر مقعد الاستاذ فقتل الفنان الذى فيه .

والفريد فرج كاتب مضحك أحيانا . وتحفته هى حلاق بغداد . ولكنه فى عسكر وحرامية فشل فى أن يؤكد نفسه ككاتب مضحك ، فقد كانت عسكر وحرامية موعظة وخطبة ، واضطر فى نهاية الرواية الى القاء خطبة منبرية على لسان عبد المنعم ابراهيم على الجمهور . وهو لجأ الى هذا لأن ما كان يقصد قوله للجمهور عن طريق العمل الدرامى لم ينجح فى قوله . ولذلك سارع الى تأليف الخطبة على لسان البطل حتى لا تفوت المناسبة !

والفريد كاتب علمانى تستطيع أن تتعلم منه صنعة المسرح . وهو فى مسرحياته يقدم علمانية كثيرة وقواعد أكثر ولكنه يقدم فنا قليلا وضحكا أقل . ومسرحياته مكانها المسرح القومى ولكن عرضه فى المسرح الكوميدى ظلم للكوميديا وظلم لالفريد نفسه !

وقد يعتقد الفريد أنه كاتب كوميدى ، وقد يغضب لهذا الكلام ، ولكن الاعمال الفنية ليست بالنيات ، حتى ولو كانت المقاصد شريفة والنيات حسنة !

وعلى سالم شىء وسط بين نعمان عاشور والفريد فرج .. وهو يبدو من انتاجه صاحب علم كثير وتجربة بسيطة .

وهو يريد أن يقول أشياء كثيرة ولكن على طريقة الرجل الذى يريد أن يهبش ويجرى . انه لا يريد أن يقول الحقيقة ولا يريد أن يسكت . انه مجرد مهزار اذا هب أحد لمناقشته ادعى أن المسائل هزار ، واذا سكت الناس ادعى أنه عنترة ابن شداد . وانه لولا سكوت القوم لفتك بهم وطرحهم أرضا !

فى رواية « عندما ظهرت العفاريت فى مصر الجديدة » كان على سالم يريد أن يقول شيئا لم يفهمه أحد سواه ، ولذلك جاءت الرواية هايفة مثل سهرات التليفزيون . انه يلتقط فكرة ليست من بنات تجربته ، لان تجربته قليلة . ولكنها فكرة التقطها بالسماع أو أخذها من الجو العام . ثم هو يجتهد فى وضع الفكرة فى اطار مسرحى وهو متمكن من خلال ثقافته . ولكن الفن بعد ذلك وقبل ذلك معاناة ، وتجربة حية واختيار وموقف شجاع ، وليس مجرد تهويشة ان نفعت كان الانسان بطلا ، وان فشلت صار الانسان مظلوما ، لأنه لم يكن يقصد الا الهزار .

وعبد الرحمن شوقى أكثر شبان المسرح قدرة على الاضحاك ، ولو أدرك عبدالرحمن شوقى أن مهمة كاتب المسرح ليست عرض التاريخ ولكن تفسيره . ولو أدرك أن فى الحياة اليومية أحداثا أغرب مما جرى فى التاريخ وأكثر أهمية . لو فتح عيونه على ما

يجرى حوله فى المكتب وفى الشارع وفى المصنع • لو تخلى عن مكرة أن كل الفقراء شهداء وكل الاثرياء أوغاد • لو فعل عبد الرحمن شوقى كل هذا لصار واحدا من كتاب المسرح الكوميدى العظام • فهو صاحب تجربة عريضة ، وهو ابن منطقة شهدت أحداثا جساما خلال الثلاثين عاما الاخيرة • وهو نكتى متفوق ، ولعله أكثر شبان المسرح معرفة لعادات ومزاج المصريين •

ولو عندنا مسرح كوميدى راق لصار هؤلاء الاربعة من أعمدته •• نعمان وسعد وعلى سالم وعبد الرحمن شوقى •

ولكن مسرحنا الكوميدى ليس له شكل وليس له وصف ، وهو لم يعتمد ولم يعرض رواية واحدة لنعمان ، ولكنه عرض روايات للهلافيت والجرابيع وأنصاف الجهلة !

ولذلك مات مسرح المؤسسة الكوميدى ، لانه اعتمد على الروايات المقتبسة ، ولانه جعل من نفسه ذيلا لمسرح الريحانى ثم سقط فى براثن مدبولى ، وتحول من مسرح كوميدى الى

مسرح هزلى • وفتح أبوابه مرة لحسين عبد النبى ، ومرة لقاسم وجدى • وقد يقول قائل : وماله ؟ دع مائة وردة تتفتح !

وهو قول مضحك ، لان المثل يقول دع مائة وردة تتفتح ، وليس مائة طوبة تتدحرج • وأنا أطالب الآن باغلاق المسرح الكوميدى ، فلم يعد لوجوده معنى • فهو حتى الآن يعتمد على أبطال من الخارج وبطلات من المسرح القومى •• وحتى المؤلف الذى قدموه فى الصيف جاءوا به من يوغوسلافيا •• والاجراء السليم أن يضموه الى مسرح الحكيم أو الى المسرح القومى دى !!

ولكن الخسارة الحقيقية أن نعمان عاشور قد سكت الآن منطويا على مرضه • وسعد وهبة سكت هو الآخر منهمكا فى أعمال وظيفته وفى تاليف السيناريو • وعبد الرحمن شوقى لايزال يتأرجح بين الاذاعة وتاليف الاوبريتات التاريخية • ولم يبق الا على سالم وهو وحده لايكفى • تحية الى نعمان عاشور ابو المسرح المصرى الجديد ، ورائد الكتاب المضحكين ، والذى فتح الطريق أمام المؤلف المصرى ورغم ذلك لم يعرض له المسرح الكوميدى رواية واحدة ولم يسع الى ذلك أبدا •

الاقتباس عملية صعبة ومعقدة للغــاية ، والمقتبس ذواقة وفنان فى الدرجه الاولى • وهو يختار من فن الآخرين مايلائم ذوق شعبه ، وما يتفق مع ظروف بيئتــه • وفــرق هائل بـين الترجمة والاقتباس ، لأن المترجم ينقل أى نص كما هو بدون حذف ولا اضافة ولا تعديل • ولكن الاقتباس شيء آخر • انه استعانة بأفــكار الآخرين وتطعيمهــا بأفكار محلية ، انه نزع لجنسية رواية ومنحها جنسية أخرى • ولذلك ينبغي ان يكون المقتبس كاتبا مرموقا فى بلاده لكى يستطيع ان يتعرف على كتابات الآخرين ، ويختار منها الأحسن والافضل ، ويضـيف اليها مايجعلها لائقة للدخول فى ثوب آخر جــديد ، ويحذف منها مالايتفق مع البيئة والعادات والظروف المحلية • ولذلك كان بديع خيرى هو أعظم مقتبس عرفته مصر • والسبب ان بديع خيرى كان كاتبا عظيما وكان فنانا بحق • ورغم ذلك أخطأ بديع خيرى أحيانا ، وربما بسبب اللهوجة والاستعجال. وربما لأسباب أخرى علمها عند الله • مثــلا ، فى رواية ثلاثين يوم فى السجن ، حكمت المحكمة بالسجن لمدة شهر على أحـد

البشوات • ولكن الباشا استأجر رجلا آخر ليدخل السجن باسمه • ويتعرف الرجل الآخر فى السجن بمجرم خطير هو دنجل ابو شفتورة • ولما انتهت مدة عقــوبته ذهب لزيارة صديقه الباشا الذى لم يدخل الســجن أبدا • موقف عجيب وغريب سيجعل الناس تضحك حتى تستلقى على ظهورها حقا، وهو موقف ستدور من حوله كل احــداث الرواية • ولكن الموقف نفسه ــ واأسفاه ــ لايمكن أن يحدث فى بلد مثـل بلدنا • فالبشوات فى مصر معدودين على الأصابع ، ومعروفين جدا ، فكلهم كانوا مشاهير وكلهم وزراء ، وكلهم والحمد لله يتصدرون الموائد والمآدب وصفحات الجرائد أيضا • ولكن هذه الاخطاء التي وقع فيها بديع خيرى تعتبر هفوات بالنسبة للجرائم التي يرتكبها غيره • ففى رواية أنا وهو وهي اقتباس سمير خفاجي ، امرأة غندورة يضطرها المطر المنهمر الى الاحتماء بفندق تقضى فيه الليل • ولما كان الفندق مزدحما ، فقد قبلها أحد المحامين فى غرفته ، ومن هنا تبدأ الرواية وتنتهى أيضا !؟ ورغم نجاح الرواية الهائل ، وشهرتها التى ليس لها حد ، الا ان الحادث الذى دارت حوله الرواية ، كان حدثا مزيفــا ولا نظير له فى بلد مثل مصر • فنحن والحمــد لله فى بلد جافة صيفا ممطرة شتاء • ولكنه مطر خفيف ولطيف لايمنع أحـدا من السفر خصوصا اذا كان المشوار من الفيوم الى القاهرة ، والسيارة تقطعه فى ساعة فى الاحوال العادية ، وفى الاحوال المطرة تقطعه فى ساعة ونصف !

ثم فلنفرض أن مطرا غزيرا قد اندلق من السماء فى تلك الليلة بالذات • وأنه مطر مصحوب برعد وثلج ، وان الطريق من القاهرة الى الفيوم قد انقطع بالفعل • لنفرض أن هذا كله قد حدث • ولنفرض أيضا أن الست الغندورة اياها قد لجــأت الى احد الفنادق • فانا واثق أيضــا ان الست الغندورة ستعثر على غرفة خالية بالفندق ، لأن فنادقنــا والحمــد لله ليست

مزدحمة الى هذا الحد ! ولو فرضنا انها فعلا ازدحمت بكـــل أنواع البشر • فانا واثق ان صـــاحب اللوكاندة ســيرفض أن يسمح لها بالمبيت فى غرفة الاستاذ المحامى ، لان هذه المسألة بالذات عيب كبــير جداً فى مصر ، وستجعل صاحب اللوكاندة يتحول من صاحب لوكاندة الى شىء آخر •• ولا مؤاخذة !! وهو فى هذه الحالة سيسمح لها بالمبيت فى غرفة المكتب ، او سيرجو الاســتاذ المحامى اخلاء غرفة والمبيت فى غرفة أخرى مع رجل آخر ! لانه هكذا تمضى الامور فى مصر ، أو هذا هــو سلو بلدنا كما يقولون !

ولكن مثل هذه المسائل يمكن ان تحدث فى انجلترا وفى فرنسا • لانها مسألة عادية جدا ان تنام امرأة وحيدة فى غرفة رجل • لان هذه المسألة بالذات لاتدخـــل تحت باب العيب هناك • بل العيب حقا ان يعود الرجل بمفرده الى حجرته فى الفندق ! ولكن •• ما علينا ، فالكلام عن أعمال سمير خفاجى لم يحن وقته بعد ، الكلام كـــان عن بديع خيرى • المهم ان ان الفنان الكاتب بديع خيرى ظل أكثر من ربع قرن يقتبس بنجاح مذهل روايات أضحكت المصريين حتى النخاع • وكان يضيف عليها من روحه المرحة ومصريته الاصيلة مايجعلهـــا روايات مصرية محلية صنعت فى مصر ، وصنعت خصيصـــا لمصر ، ثم جاء أبو السعود الابيارى يرحمه الله • ولقد كان هــو الآخر خفيف الروح مرح العبـــارة ، شــديد اللماحيـــة ، ولكنه لم يكن فى ثقافة بديع خيرى • ولذلك انحدر بالاقتباس الى الحد الذى أغلق أبواب مسرح اســـماعيل يس • مع أن اسماعيل يس لايزال الممثـــل الموهـــوب القادر اذا وجـــد الرواية المناسبة • والمقتبس الفاهم الموهوب المستعد • ولأن الروايات فى مسرح اسماعيل يس كانت متشابهه والأحداث غير معقولة ، فقد لجأ الممثلون الى تأليف أى كلام ، والى الاعتماد

عــلى حركات الشفايف ، والشقلبه على المسرح والقاء النكت البذيئة ، والقيام بالحركات المبتذلة • فى احـــدى روايات اسماعيل يس تحطمت مركب كان على ظهرها رجل يسكن فى القاهرة ، وسبح هو حتى وصل الى جزيرة ، وعاش فى الجزيرة سنوات ثم عاد فجأة الى بيته ليجـــد أن زوجته التى ظنت ان زوجها مات •• قد تزوجت بآخر • موقف معقد يســـتدر الضحك من الصخور • ولكن لا أظن ان أحدا قد ضحك ! لأن الرجل عندما عاد الى زوجته كان يرتدى زى سكان الجزيرة ، بعض الخرز والدبش وأغصان الشجر • ثم لا شىء بعد ذلك • وكان يتكلم لغة أهل الجزيرة • كيف عاد هذا الأفندى من الجزيرة الى بيته وسط القاهرة ؟ لا أحد يعرف ؟ كيف حضر بهذا الزى الغريب ؟ وفى أى مينا رسا ؟ ثم لو انه تسلل من الحدود ولم يقع فى قبضـــة رجال الســـواحل ، فكيف نجا من عيون الفضوليين ؟ وكيف استطاع أن يتسلل هكذا من ميدان المحطة الى ميدان طلعت حرب الى ميدان التحرير ؟ أسئلة ليس لها جواب على الاطلاق أو حوادث ليس لها أى فرصـــة فى أن تكون قد وقعت بالفعل • وقد يقول قائل ، هذه الروايات من الفارس ، والفارس يحتمل أى شىء • وأنا اقول هذا صحيح • الفارس يحتمل أى شىء ، نزول ملاك من السماء مثلا ، قيـــام ميت من البشر • خروج عفريت من تحت الارض • ولكن هذه الاحداث التى أوردتها لاتدخل تحت باب الفارس ، ولكنهـــا تدخل تحت باب الهارش مـــخ لا أكثر ولا أقل • وهـــذه الروايات كتبت فى أووربا خـــلال عصر الاكتشافات البحرية • عندما جنت أوربا كلها وهبت بربطه المعلم تاجر فى العبيد المخطوفين من أفريقيـــا ، والتوابل المنهوبة من جزر الهنـــد الشرقية • فى تلك الايام كانت عشرين مركب تســـافر ،

ولكن عشرة مراكب فقط تعود • وكان بعض البحارة تكتب لهم النجاة فيلجأون الى جزيرة مهجورة أو مسكونه ، فلايعرف طريقهم أحد ولا يعثر عليهم انسان • فلم تكن كل جزر البحار معروفة • ولم تكن هناك طائرات ولا لاسلكى ولاجرائد ولا وكالات أنباء • فى تلك الفترة البعيدة كان بعض البحارة تكتب لهم الموهة على مركب قرصان ، على مركب تضطرها الظروف والصدفة البحتة الى الرسو فى الجزيرة التى لجأ اليها البحار • عندئذ كانت المشاكل تقوم بمجرد عودته الى أرض الوطن • وكان من الممكن أن يعود الى منزله بأىزى لان البحارة عادة يسكنون فى المدن الساحلية ، ومنذ بضعة مئات من السنين لم تكن المدن عامرة الى هذا الحد ، ولم تكن آهلة الى هذا الحد ! وكان يجب على المؤلف أبو السعود الابيارى أن يلجأ الى تعديل السبب الذى جعل الزوج الاول يتغيب كل هذه السنين •• تصدمه سيارة نقل فيفقد الذاكرة عدة سنين يقضيها نزيل مستشفى الخانكة ! أن يكون فى طريقه الى الواحات البحرية فيضل طريقه ، ويقضى سنوات فى واحة داخل الصحراء ثم

يعود الى منزله فجأة • أن تصيبه طوفة فينجذب ويربط رأسه بخرقة خضراء ويتوه فى محبة الاولياء الصالحين •

كان من الممكن تمصير الروايه ، ولكن ابو السعود الابيارى آثر أن يقدم النص كما هو، ولكنه فى الوقت نفسه اختار أن يضع اسمه على الروايه «تأليف أبو السعود الابيارى» ولذلك أيضا لم يضحك أحد • لان المزاج المصرى شىء والمزاج الفرنسى شىء آخر • فهكذا قسم الله الاشياء • وكما قسم الحظوظ والارزاق ، قسم أيضا المزاجات • وعبارة كبلنج الشهيرة ، الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا • هذه العبارة ربما كان يقصد بها كبلنج المزاج ولاشىء سواه • فمزاج الشرق شىء ، ومزاج الغرب شىء آخر ، ولن يلتقيا • الا اذا التهم الانجليزى سلطانيه طرشى على مائدة العشاء •• وتناول المصرى افطاره قهوة وكرواسان !

واذا كنا قد استعرضنا المقتبسين القدامى فلنستعرض المقتبسين الاواخر •• اقصد المقتبسين هذه الايام •

وكما ان الانسان واحد في كل مكان ، كذلك الضحك واحد في أى مكان . ولكن كما أن الانسان يحمل جنسية كذلك الضحك أيضا ، فهناك ضحك مصرى وضحك انجليزى وهناك ضحك هندى وضحك اسكتلندى . وما يضحك الانجليزى قد لا يضحك المصرى . وهذا طبيعى . لان الانجليزى يختلف عن المصرى . الانجليزى يأكل المسلوق ويعيش أغلب ايام السنة تحت المطر وبين أربعة جدران . والمصرى يأكل الحادق والحراق . ويعيش طول العام مرحرحا على الهواء والضياء . ولذلك يختلف مزاج المصرى عن مزاج الانجليزى ومن هذه النقطة ينبغى أن يبدأ المقتبس اذا اراد لفنه النمو والاستمرار . واعظم مقتبس فى الوقت الحاضر هو سمير خفاجى ثم بهجت قمر . أما حسين عبد النبى فهو مجرد توليفجى أرزقى يلقط رزقه كيفما اتفق ، وهو لانه تقيل الظل جدا فهو يأكل عيشه عن طريق الخطأ ، لانه يريد ان يضحك الناس ، ولا شيء فيه يضحك الا منظره . واحمد حلمى شيء مثل حسين عبد النبى فهو مستوظف قوى ، وهو لديه مكتبة من قصص أرسين لوبين . وهو بالنيات يكتب شيئا ظريفا ، ولكنه فى الحقيقة يكتب شيئا سخيفا . كذلك عبد الله فرغلى وهو يجيد الفرنسية ولكنه لايجيد الكتابة .

ولذلك سنحصر همنا فى سمير خفاجى وفى بهجت قمر . والاول مقتبس أثبت نجاحه . لأنه استطاع ان ينشىء مسرحا وان ينافس المؤسسة وان يتغلب عليها أيضا .

ولكن سمير خفاجى يحمل عيبا هو انه يبدو كمستشرق فى مصر ، أو خواجا رومى تدهورت أحواله فضاع فى شوارع القاهرة ، وهو ليس له خطة وليس له هدف ، وليس فى رأسه شيء الا ما تبقى من شعره . وهو مشغول لدرجة انه لايقرأ الا ما يقتبسه ، ولا يتفرج الا على رواياته ، ومع ذلك فقد استطاع الوقوف على قدميه عشر سنوات متواصلة . وهو يستطيع ان يبقى الى ما لانهاية ، لو قرأ أشعار بيرم التونسى ، ولو طالع الجبرتى . ولو حاول أن يكتشف مصر ، ولو زار بلادا غير القاهرة والاسكندرية .. ولكن أقولها وأجرى على الله ، ليس هناك نسبة بين سمير خفاجى والآخرين فهو أكثرهم نجاحا ، وأشدهم اصرارا ، وأخلصهم للمسرح ، وهو يستطيع مع فؤاد المهندس مثلا ان يعيد حكاية نجيب الريحانى وبديع خيرى . وقد استطاع سمير خفاجى فى الفترة الأخيرة ان يضع قدمه على الطريق الصحيح فقد أصبح يرى فى المسرح المصرى مخرجين آخرين غير عبد المنعم مدبولى . وهو قد استعان أخيرا بالمخرج سعد أردش . وهو يبحث عن مؤلفين غيره وقد اتصل أخيرا بالفريد فرج ، وهى خطوة طيبة نشجعه عليها ، فهو اولا واخيرا متفرغ للمسرح ويستطيع أن يقدم كثيرا للحركة المسرحية ، ويستطيع أن يقدم أكثر لو لم يفتح عينيه فقط وفتح عقله أيضا .

وبهجت قمر يستطيع ان يتفوق على سمير خفاجى لانه شوارعى ، ولانه يحيا دنيا الناس بلا حواجز ، ولانه مصرى المزاج بالفعل ، ولانه لايدعى شيئا ولا يتكلف شيئا ، وهو لايهدف الى شيء الا اضحاك الناس ، ولانه غير مشغول بايراد المسرح وحصيلة الشباك ، فهو يكتب ويجرى . ولكن مصيبة بهجت قمر انه لايجيد لغة ، ولذلك فهو محتاج الى مترجم !

وهو ضائع أيضا يستهلك نفسه بلا مناسبة ، وهو يقطع رحلة حياته كأنه أوتوبيس بلا خط سير ولا محطات ، وكارثته العظمى أنه حشر نفسه فى مفرمة تأليف الاشياء المطلوبة .

فهو ترزى روايات جاهز ومســـتعد ، ولو تنفض بهجت قمر عن نفسه كل هذه المصائب فهو يستطيع ان يقدم للنـــاس شيئا عظيمــا • فهو نكتى حاضر ، وهو خفيف الدم ، وهو صايع مصرى استفاد من القهاوى والحوارى ومن زحام الناس ، وهو استطاع رغم ضحالته أن يشد انتبــاه المصريين جميعــا بمسلســـلة « انت اللى قتلت بابايا » ، ولا يمكن ان يكون السبب فى نجاحها هو روعة التمثيل فقط ، فالكلام ايضا كان له سبب كبير فى النجاح • وقد استطاع بهجت قمـــر رغم تفاهة الموضوع أن يدير الحوار ببراعة •• وبذكاء وخفة دم أيضا • ولكن فى المسرح لم يحقق النجاح المطلوب حتى الآن • ربما لان النصوص الاجنبية يختارونها له ويفرضونها عليه • وربما لاسباب اخرى نجهلها ولكنى ارجوان تستخدم مؤسسة المسرح كاتبا مثل بهجت قمر ، تختار له الرواية ويقوم هــو بتمصيرها ، هذا خير من الاستعانة بالمخرج كمـــال يس فى كتابة حوار رواية مقتبسة ، لأن كمال يس كمخرج قدنختلف حول قيمته الفنية ، ولكنه كمقتبس ومؤلف ••• اسحل !

واعتقد ايضـا أن ســـمير خفـاجى وبهجت قمر يكملان بعضهما البعض • وهما شركة لابد منها • فسمير تاجرمسرح ناجح ، ومقتبس اثبت نجاحه وقدرته على الاستمرار ، وبهجت قمر فنان وعلى باب الله •

واذا كان فى مصر عشر فرق خاصة غـــير فرق المؤسســة وما أكثرها • فنحن فى حاجة الى خمسة وعشرين مقتبسا على الاقل • بشرط أن يكونوا فنانين • وأن يحسنوا اختيـــار الروايات التى يقومون بتمصيرها • فالسوق يستوعب انتاج مثل هذا العدد وأكثر • ولكن ما أفقرنا لاننا بعد موت بديع خيرى وأبو السعود الابيارى لا نجد من يملأ هذا الفراغ ، ومن بين المقتبسين الجدد لن تجد الا اثنين فقط • والباقون امامخوجة

مثل عبد الله فرغلى ، أو مستوظف مثل احمد حلمى ، أومجرد شىء ليس له لون ولا طعم ولا رائحة ، مثل حسين عبدالنبى !

واذا كان اختيارنا قد وقع دون اهل المسرح جميعا عــلى فصيلة المضحكين فقط • فلأن المضحكين هم أكثر الفنانين حظا دائما • ولأن المضحك شىء نادر مثل العملة الصعبة • ولأن مدرسة يوسف وهبى كانت أكثر انتشارا ، ولكن مدرســة الريحانى كانت أكثر عمقا • ولذلك ستجد فى مصر ألف ممثل يستدرون الدموع وعشرة فقط ينتزعون الضحكات من أفواه المتفرجين • واعتقد اننا أفضل حظا من بلاد كثيرة • ففى ألمانيا مثلا ستجد مضحكا واحـــدا فى التليفزيون ومضحكا واحدا فى المسرح • وفى انجلترا خمسة مضـــحكين وخمســـة آلاف شكسبيرى !! وفى بلــد مثل العراق لن تجـد فنـانا واحدا مضحكا ، ولكنك ستجد مضحكين كثيرين فى مقاعد الحكم وفى دنيا السياسة • ومصر محظوظة ، لأنها فى الفن غنيـــة فى المضحكين رغم أنها فى مصر ، مهنة صعبة ، اذ كيف يستطيع فرد مضحك أن يضحك من كانت السخرية مهنته والتريقــة حرفته ، والضحك هو سلاحه فى أيام الصفا وفى ســـاعات الخطوب !

وبعد •• فليعذرنا القارىء اذا كنا قد اخطأنا ، وليغفر لنا ان كنا قد قسونا • وعذرنا اننا بعض هؤلاء المضـــحكين •• واننا نحيا بينهم ونتعامل معهم ولذلك لا نستطيع أن نتجرد تماما عن الهوى ، ولا نستطيع أن نتخلص تماما من نظرتنــا الشخصية للأمور • وعلى أية حال ، لقد تصدينا بشـــجاعة لموضوع كبير فى سطور قليلة • وقلنا رأينا بصراحة واحيانا بوقاحة ، ويبقى بعد ذلك أننــا ســنظل فى حاجة الى هؤلاء المضحكين ، فهم على كل حال ، جزء من روح مصر • ويا مصر ••• مبارك كل شىء فيك حتى تراب الارض •

روزاليوسف
الكتاب الذهبي